M46-350-43/02

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
قسم الثقافة الشعبية

معهد الثقافة الشعبية
رقم الجرد 664
تاريخ الوصول
رقم الترتيب AFM 21/1
CP

الطقوس و الممارسات السحرية

في

ألف ليلة و ليلة

GP 180

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية

إعداد الطالب
محمد فتحي

إشراف الدكتور
أحمد يوسف

السنة الجامعية: 2000 – 2001

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح الوالدين الكريمين ..

إلى أخي عبد القادر .. السند الأول في تربيتي و تعليمي

إلى زوجتي و أبنائي ..

إلى كل من تربطني بهم صلة ودّ و محبة ..

أهدي هذا العمل المتواضع

كلمة شكر و تقدير

أتقدم بالشكر و العرفان لأستاذي الفاضل الدكتور: أحمد يوسف الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، و على ما بذله من جـــــهد في توجيهاتـــه النـــيرة وإرشاداته القيمة في سبيل إخراج هذا العمل.

كما أتقدم بالشكر و العرفان إلى كل الزملاء الذين كان لهم فضل المســـــاهمة في إنجاز هذا العمل.

المقدمة

حظيت الثقافة الشعبية في السنوات الأخيرة باهتمام بالغ من قبل الباحثين نتيجة تطور البحث العلمي ومناهج العلوم الإنسانية المختلفة، وصارت مختلف المجتمعات تولي عناية كبرى بتراثها الشعبي بوصفه صورة صادقة لروح شعبها و فلسفته في الحياة .

جاء الاهتمام بألف ليلة وليلة بوصفها جزءاً من التراث الشعبي الضخم، والمتنوع لما يحتوي من صور و أخيلة و كنوز معرفية كبيرة ، وفنون وممارسات شعبية متنوعة ، تجلت فيها حضارة الشرق وثقافته.

تميزت حكايات ألف ليلة وليلة في معظمها باتخاذ الكائنات الأسطورية شخصيات لها ، تقوم بأدوار و تصنع الحدث لتتجه به إلى غايات فنية مرسومة. وتتصل بهذه الخاصية ، خاصية أخرى متمثلة في طغيان السحر والشعوذة ، و لم يكن أمر السحر وقفا على فئة معينة، وإنما كان أمرا مشاعا بين الناس.

وهناك إشارة إلى المستوى الذي كانت عليه مجتمعات شهرزاد في تلك الحقبة الزمنية، إذ كلما زاد انتشار السحر والشعوذة وغيرها من الخرافات في البنية الاجتماعية، كان بدون ريب مستوى تقدمها الحضاري أقل.

السحر بوجه عام قديم قدم الحضارة الإنسانية ذاتها ، وهو ثمرة من ثمرات الحضارات الضاربة في الزمن اشتركت فيها الأمم الشرقية القديمة من بابليين وفرس وهنود وإغريق وقدماء المصرين. أما العرب فقد عرفوا الكهانة والتنجيم التي لا تعد في الحقيقة إلا مظهرا من مظاهر السحر والشعوذة.

اتضح بعد هذه الدراسة أن السحر في ألف ليلة وليلة يتخذ منحيين هامين :

أ ــ السحر الأسود و يمارس إلحاق الأذى بالآخر، أو لتحقيق النفع على حساب الآخر ،وهو شائع شيوعا عاما وملحوظا في جل الحكايات.

ب ــ السحر الأبيض و يخدم أهدافا مغايرة لسابقه، و يعود أثره بالنفع على صاحبه كعلاج الأمراض المستعصية أو كشف الكنوز أو الجمع بين العاشقين،كما تصور ذلك معظم الحكايات. و للإشارة فإن هذين النوعين من السحر لا يمارسان إلا وفق طقوس معينة وشروط خاصة.

كان السحر منذ القدم علم الإنسان الأول كما يؤكد ذلك جيمس فرايزر، وهو الأصل في المعتقدات الشعبية و ما يلحق بها من ممارسات وطقوس يرتبط بتلك التصورات والأفكار التي تؤمن بها الطبقات الدنيا من المجتمع، والتي تتعلق بكل ما له صلة بالجانب الاجتماعي كالحب و الزواج ، و الاقتصادي كفتح الكنوز والانتقال إلى مدن الجن و الخوارق ، والاعتقادي كاستطلاع الغيب و الاتصال بعالم الجن والأرواح الخفية .

تلونت تلك الممارسات في ألف ليلة وليلة بالطابع الفكري والعقائدي، الذي ساد المنطقة الشرقية في تلك الحقبة الزمنية، واتجهت لتعبر عن تطلعات الجماهير وأحلامها و أحزانها ،كالبحث عن الثروة والتغلب على المعضلات الاجتماعية اليومية.

وقد غضّ البحث الطرف عن نظرة الدين الإسلامي للسحر، لأن هدف الدراسة مرتبط بالتعرف إلى طرق الفعل السحري و ممارساته في ألف ليلة وليلة، و هي طرق تندرج ضمن الفنون الشعبية لأنها تجمع بين القول والفعل، الطقس و الممارسة .

كان اختياري لهذا الموضوع مبنيا على جملة من الاعتبارات يمكن حصر بعضها فيما يأتي :

1 ـ إن جل اهتمام الباحثين في ألف ليلة وليلة تركز حول قيمة هذا الكتاب ومكانته وموضوعاته الاجتماعية المتمثلة في عادات الشرق ومدى تأثيرها في ثقافات الغرب. و لم يهتم إلا قلة من الباحثين بموضوع السحر في ألف ليلة وليلة، على الرغم من أنه يشكل القوة الخفية التي تحرك المخيلة الشعبية في معظم سلوكها وإنتاجاتها الفنية.

من هنا جاءت الرغبة في اختيار موضوع السحر في ألف ليلة وليلة، من أجل الإسهام قدر الإمكان في إلقاء الضوء على فصل هام من فصول بنيتها التنظيمية، والكشف عن مجتمع شهرزاد المتباين ذي الصلة بالممارسات السحرية. وقد تكرس هذا التوجه بعد قراءات متعددة لألف ليلة وليلة، وبعد مناقشات مستفيضة مع المهتمين بموضوع السحر وتأثيره في الثقافات الشعبية والرسمية، والدلالات المحافظة على استمراريته على خلاف بعض الفنون الأخرى التي بدأت تؤول إلى الزوال والاندثار مثل الوشم والحجامة. فأليت على نفسي أن أتناول موضوع هذا الفن الشعبي بالدراسة في ألف ليلة وليلة بوصفها أحد المنافذ لإظهار التصورات الخرافية والأسطورية ، وهي مادة حية تمثل ترسبات الذهنية والتجارب التاريخية الطويلة للشرق بكافة شعوبه وحضارته الوريثة لأساطير الفرس وبلاد الرافدين والهند وباقي

شعوب المنطقة، وتالياً فهي ثمرة من ثمرات الحضارة العربية الإسلامية ونتـــاج مـــن نتائجها. لذلك عُدت بحق قالبا فنيا احتفظ بكثير من ألوان الفنون الشـــعبية مثـــل الموسيقى والغناء والسحر الذي بلغ شأوا عظيما، وتلك ميزة الفن الراقـــي الـــذي يخترق حجب الزمن والمكان ليعيش متزامنا مع الأجيال ،ويفتح لها صـــدره لكـــي تفك طقوسه وطلاسمه.

انطلاقا من هذه التصورات وتجسيدا لهذه الاعتبارات استند هذا البحـــث إلى نسخة ألف ليلة طبع وحدة الرغاية الجزائر تقديم أمزيان فرحاني و إشـــراف أحمـــد الحالي، و استعان بأهم المراجع ذات الصلة بالطقوس و الممارســـات الســـحرية، تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بعرض النصوص ذات الصلـــة بـــالمعتقدات السحرية في الوظائف المرسومة سلفا، ثم مقارنتها ببعضها بعض بغية الوقوف علـــى طقوس وممارسات السحر وإظهار نتائجها.

تكمن إشكالية الدراسة في كونها تتساءل عن وظائف النص السحري في ألف ليلة و ليلة و عن أشكاله و أهدافه و غاياته، و إثارة العديد من التساؤلات بخصوص طبيعة و سلوك الشخصيات الحكائية و وظائفها وعلاقتـــها ببعضـــها، وارتباطـــها بالزمان و المكان المتباين و المتنوع في بعديه الأسطوري والجغرافي، و هـــل كـــان السحر بطقوسه و وظائفه المتباينة البلسم الشافي و الحل الوافي للمشكلات اليوميـــة التي كان يعانيها مجتمع شهرزاد؟.

هذه بعض التساؤلات و الإشكاليات التي يطرحها الموضوع، و التي يحـــاول الباحث جاهدا الإجابة عنها و الوقوف على خفاياها، من خلال نماذج حكائية مـــن ألف ليلة و ليلة.

أما الصعوبات التي اعترضت سبل البحث، فإنني أتعفف عن ذكرهـــا لأني كنت مدركا أن اختيار طريق البحث تعترضه مثل هذه الصعوبات ،و لا أرى داعيـا لاستعراضها، لأنه لا يخلو أي بحث منها. بعد جمع المادة و فحصها والإحاطة بهـــا اقتضت ضرورة البحث أن نقسم الموضوع إلى مدخل و ثلاثة فصول وخاتمة.

تطرقت في المدخل إلى مفهوم السحر وتاريخه في الثقافات القديمة التي تمثـل المرجعية والأساس التاريخي للنص السحري في ألف ليلة وليلة، كما أنـــه يبحـــث الأصول الاعتقادية والأسطورية التي استمد منها هـــذا المـــتن تلـــك النصـــوص والممارسات السحرية.

تناول الفصل الأول السحر وعلاقته بعناصر الوجود، المتمثلـــة في الإنـــس والجن والحيوان، والتي تعد أقطاب الممارسات السحرية في جميع الثقافات والمعتقدات عبر الأزمنة.

أما الفصل الثاني فتضمن الممارسات السحرية ووظائفها، ومن بين الوظـــائف التي أدرجناها ضمن هذا الفصل : مسائل الحب والزواج بين الإنس والجـــن ومـــا يتصل بهما من هموم ومشكلات، وكذلك قضايا استكناه الغيب ومـــا يتعلـــق بـــه كالخوف من المجهول أو طلب المال والولد أو كشف الكنوز المدفونـــة في بـــاطن الأرض. كما تطرقنا أيضا إلى مسائل شفائية، مثل علاج بعض الأمراض المســـتعصية كالبرص والجذام.

فيما خصص الفصل الثالث للبنية الفنية للسحر من خلال ثلاث عنـــاصر: الشخصية ـــ الزمان ـــ المكان ، بوصفها وسائل للتعبير الفني ، وهيـــاكل لحمـــل مضمون النص السردي وحفظ سياقه.

و انتهى البحث بخاتمة تضمنت بعض الاستنتاجات التي آلـــت إليـــها هـــذه الدراسة المتواضعة.

في الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور: أحمد يوسف عرفانـــا لـــه بالفضل الكبير على هذا البحث، ولولاه لما كان له أن يخرج على ما هو عليـه، و إن كان ذلك لا يوفيه حقه.

كما أتقدم بالشكر لكل الزملاء الذين كان إسهام في إخراج هذا البحـــث، و أخص منهم الأستاذ كاملي بلحاج و بلوحي محمد و ملاح بنـــاجي و منصـــوري مصطفى و طيبي أمينة، و إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد.

فإن وفقت فمن الله و إن قصرت فما كان ذلك عن عمد.

- محمـــد فتحي -

سيدي بلعباس يوم 10 مارس 2001

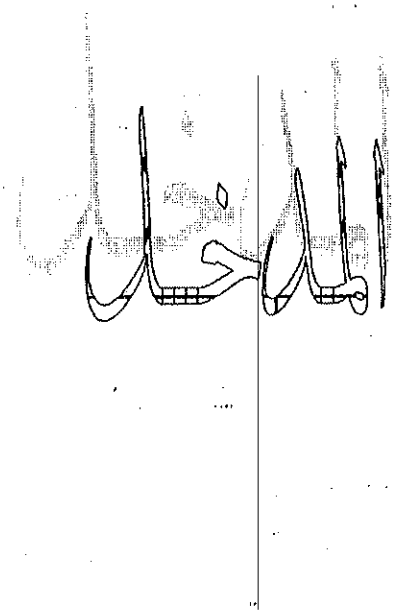

يعد السحر والشعوذة من الممارسات البشرية القديمة المنتشرة في معظم بقاع العالم. و الملاحظ أنه كلما اتسعت دائرة الإيمان بالقوى الخفية والماورائيـــة زادت مساحة اعتماد السحر والشعوذة، إذ يتخذان لتفسير الظواهر وحل ما اســـتعصى على الإنسان، وكذا البحث فيهما عن إجابات لتساؤلاته التي تشغل باله، وهـــي المرتبطة أساسا بمفاجأة الطبيعة ولعل ذلك ما جعل ((الشعوب القديمة ترى العـــالم مسكونا بما لا يحصى من الكائنات الروحية التي تفسر الخير أو الشر وتنســـب إلى هذه الأرواح والجن التسبب في حوادث الطبيعة ولا تعتبر الحيوانـــات والنباتـــات فحسب بل أيضا الأشياء غير الحية في العالم مسكونة بها))[1] ، وفي ذلك إشارة من قبل فرويد إلى عرافة الممارسات السحرية لدى الشعوب القديمة.

فالعالم من المنظور البدائي لا تشكله المظاهر المادية التي يعايشها الإنسان بل والقوى الخفية التي تتحكم في المظاهر الكونية وتسيطر عليها، و التي تؤثر بدورهـا في الإنسان و محيطه. من أجل ذلك أوجد الإنسان السحر بغية السيطرة على هـــذه القوى اللامرئية وتسخيرها لخدمته سواء في مواجهة مصاعب الطبيعة أو في مواجهة خصومه من بني جنسه.

غير أن تطور الحياة البشرية وما رافق ذلك من تحول في معتقداتها الدينيـة ، لم يقض على السحر في جوهره البدائي وإن دفعه إلى تطوير أدواته ليتوافق مع الأيـــام الجديدة، ويكتسب قوته منها لأنها تقوم أساسا على فكرة القوى الغيبية المجردة.

فكثيرا ما نجد أن السحر مرتبط بالنفوس الممتلكة للطاقات التي تســتطيع أن تؤثر بها في عناصر الكون. و يكون هذا التأثير ذاتيا أو بالاستعانة بقوى أخـــرى. ولهذا يقسم ابن خلدون النفوس الساحرة تبعا لذلك إلى ثلاث مراتب ((فأولهـــا

---

[1] ـــ سيغموند فرويد: الطوطم والتابو ـــ ترجمة بوعلي ياسين ـــ دار الحوار ـــ سوريا ط 1 / 1983 ص 98.

المؤثرة بالهمة من غير آلة ولا معين وهو الذي تسميه تسمية الفلاسفة السحر، والثاني يستعين صاحبه بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول (السحر) والثالث تأثير في القوى المتخيلة، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقى فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة صورا مما يقصده من ذلك ثم يترلها إلى الحس من الرائيين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة))[2].

وواضح أن لكل قسم من هذه الأقسام خصائصه وطبيعته، فالسحر قوة ذاتية يؤثر من تلقاء نفسه دون الاستعانة بأي مادة حيوانية أو نباتية ، أو استعمال الحروف . وهو يصدر من الشيطان أو أحد أعوانه فيصيب ضحيته فجأة، أما الطلسمات فتكون بمعين خارجي ، حيث يستعين الساحر بقوة الحروف الهجائية والأعداد والكواكب ، غير أن هذا يتطلب معرفة كبيرة بكل ما يتصل بالكواكب من حيث اقترانها و صعودها وهبوطها وأمزجتها وطبائعها ومقارنة ذلك بالحروف والأعداد المستعملة.

أما الشعوذة[3] أو الشعبذة فهي فن يعتمد على السرعة الشديدة وخفة اليد والقيام بعمليات من أجل خداع المشاهدين وإيهامهم بأشياء لا وجود لها، وذلك بالسيطرة على القوى المتخلية بإظهار الشيء على ما هو عليه في الواقع بقوة النفس المؤثرة فيه. ومن هنا نجد أن الشعوذة تختلف عن السحر، لأن السحر يهدف إلى

---

[2] ـــ عبد الرحمان ابن خلدون ـــ العبر و ديوان المبتدأ والخبر بيروت 1983 .926/1.

[3] ـــ الشعوذة : خفة في اليد وأخذ كالسحر ، يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين ، وقيل هي الخفة في كل أمر ـــ ابن منظور ، لسان العرب ـــ دار صادر للطباعة والنشر ـــ بيروت 495/13.

إخضاع القوى الطبيعية لإرادة الإنسان، أما ما يقوم به المشعبذ فهو نوع من الخفة والخيال.

ورد ذكر هذا النوع في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم))[4] وقوله تعالى : ((يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى)).[5]

إن الطرح الذي اعتمده ابن خلدون في تقسيمه للسحر، يشبه في بعض جوانبه ما ذكره فرايزر عن المبدأين اللذين يقوم عليهما السحر :((أولها أن كل شيء يدعو مثيله وكل حدث مشابه لمسبباته، و المبدأ الثاني هو أن الشيئين اللذين كانا على اتصال في وقت ما ، يستمران في التأثير على بعضهما ، حتى ولو توقف هذا الاتصال ، فنسمي المبدأ الأول قانون المحاكاة والثاني قانون العدوى))[6]، أما عن استغلال المبدأين ، فيستخلص من المبدأ الأول أنه يستطيع إحداث التأثير المرغوب بمجرد محاكاة الشيء ، و عن المبدأ الثاني أن كل ما يفعله الساحر شيء مادي يمس بالمقابل الشخص الذي كان على اتصال بهذا الشيء ، سواء أكان شكل هذا الشيء جزءا من جسده أم لم يشكل ذلك.

يقوم السحر على مبدأ تواجد العلاقات الروحية بين الكائنات والأشياء ، فعندما يريد الساحر إلحاق ضرر بغيره يأخذ شيئا من جسده، ويمارس بواسطته طقوسا سحرية معينة ، فيلحق به الضرر الذي يريد ، لأن الصلة الوهمية تعد بمثابة الصلة الفعلية و الصلة الذاتية، وهذا النوع من السحر ((يعرف بالسحر

---

[4] ــ سورة الأعراف الآية رقم 116

[5] ــ سورة طه الآية رقم 66.

- [6]James FRAZER /Le Rameau d'or Ed . Robert Laffont / Paris 1981 p41.

الاتصالي أو التعاطفي))[7]، إذ يفترض تأثير الأشياء في بعضها عن بعد بواسطة نوع من التعاطف الخفي ، حيث ينتقل ذلك التأثير من شيء لآخر، وذلك ما أصبح العلم الحديث يسلم به في كيفية تأثير الأشياء فيزيقيا بعضها في بعض في الفضاء الذي يبدو خاليا.

يستند السحر على أساس التأثير النفسي وعلى القوى المتخيلة، وتحركه ثقة الإنسان في قدرته على تحقيق رغباته، لأن الفاعلية السحرية تتخذ مجالا للتأثير في خيال الإنسان وتصوراته التي توهمه برؤية وفعل أشياء لم يفعلها. وبذلك يكتسب السحر سمته في تشويه النظام وتزييفه إنه ((تزييف نظامي لقانون الطبيعة، وهو في الوقت ذاته هو طريقة سلوك خادعة إنه علم كاذب وكذلك عقيم))[8]، بيد أن وظيفته لا تعتد كثيرا بما هو خادع وكاذب وعقيم.

تلك هي إذن نظرة النخبة من المحدثين وتصوراتهم عن السحر، غير أن وجوده كعلم وفن فاعل ، أمر لا شك فيه عند الأمم السالفة ، أقرته الأديان السماوية كالتوراة و الإنجيل ونطق به القرآن الكريم.

لعل من الأمور الغامضة لمدركات عقل الإنسان وحواسه، المواضيع التي أطلق في مجموعها علوم الطبيعة منها السحر، و على الرغم من أن هذه الممارسة كانت معروفة منذ العصور القديمة ، حيث كان الإنسان في فجر التاريخ يعيش حالة من الرعب المستمر وسط كائنات تتربص به وتمنعه من الاستمتاع بحياته، فتعلق بالكائنات الخفية ، ولجأ إلى التمائم والرقي ليحمي نفسه من هذه الكائنات، و من الحسد و العين الشريرة و سحر خصومه و أعدائه، فكان يعتقد أن هذه

---

[7] ـ سامية الساعاتي : السحر والمجتمع دراسة نظرية وبحث ميداني ـ بيروت ـ ط2 1983 ص 90.

[8] ـ سيغموند فرويد : الطوطم والتابو ـ ص 159.

التمائم تعينه في حل المعضلات التي يربطها بعالم الغيب ، الذي تحايل على جـــلاء غموضه ورفع نواميسه ، فكانت هذه المعتقدات والطقوس الســـحرية مـــن أولى الأمور التي اعتنى بها الإنسان و اعتقد في وجودها وحقيقتها، مما أدى به إلى نقشها و كتابتها على جدران الكهوف والمغارات الصخرية . وصنع لها تماثيل، تبرز مدى اهتمام الإنسان بها لتأمين حياته و حياة قبيلته أو عشيرته.

وكانت البلاد الشرقية وفي مقدمتها أهل بلاد الرافدين ، وهم أول من عمـر الأرض، ومنهم السومريون الذين عاشوا قبل المسيح خمسة آلاف عام في رعـــب وفزع شديدين.

اختلفت الآراء في معرفة أولى الشعوب الممارسة للسحر في الوجود ، لكـــن الرأي الغالب والأعم يشير أن البابليين هم أول من مارس السحر بنـــص القـــرآن الكريم لقوله تعالى ((وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِيلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ))[9] ،وبابل مدينة بالعراق القديم تقع على ضفتي الفـــرات، وكانت أعظم مدائن العالم وقتها مزدهرة بالعلوم والفنون السحرية . بسبب انتشار عبادة الكواكب و النجوم ، فكان أهل بابل يعتمدون في أعمالهم السحرية علـــى حركات الكواكب وأوقاتها وتقابلها وتباعدها وكل ما يتصل بهـــا، ((ويزعـــم السحرة أنها أحياء ناطقة. وأن الرقى والعزائم لها ارتباطات قوية بحركاتها ونشـــاطها من حيث تأثيرها على حياة الناس، وشؤونهم سواء كانت خيرا أم شرا، ثم بيّنـوا أن هذه الأمور يجب أن تحجب عن العامة))[10] لئلا يبحث عن حقيقتها وينكشـــف أمرهم.

---

[9] ـــ سورة البقرة الآية رقم 102.

[10] ـــينظر : الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ـــ النبوات وما يتعلق بها ـــ تحقيق : أحمد حجازي السقا مصر ص 48.

يذكر ابن خلدون في هذا الشأن أن السحر وجد ((في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيون فكثير ما كان للسحر في بابل ومصر زمن بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة))[11].فيما يذكر باحثون آخرون أن بداية السحر كانت مع الفرس حيث تشير سامية حسن الساعاتي أن زرادشت بن حام بن نوح كان من أوائل السحرة في بلاد فارس، وقد أجمع معظم الكتاب والمؤرخين على أنه أول من أسس علم السحر ووضع له قواعد ومارسه وترك فيه آثاره التي لازالت لحد الآن مرشدا ومرجعا لجميع السحرة.

وقد حفظت هذه التعاليم والقوانين في كتابه الأفاستا AVESTA وهو الكتاب المقدس عند الفارسيين القدماء ، حيث أشار إلى عبادة الكواكب وترقيتها بالذبائح وإراقة الدماء لأن بيدها سعادة ونحوسة الناس[12]. سادت تلك التعاليم الإمبراطورية الفارسية كلها ومن البديهي أن يكون لهذا الأثر الكبير انعكاسات مؤثرة في الثقافة الشعبية الفارسية وعلى الأمم المجاورة.

اعتبر السحر في مصر القديمة علما من علوم الكهنوت، و قد ارتبطت تعاليمه بالطقوس الدينية ارتباطا وثيقا، حيث تخصص فيه الكهنة وحدهم، ((ولازال هذا الاعتقاد في قدرة بعض رجال الدين على استخدام السحر لتحقيق المآرب قائما لحد الآن))[13]، و أصبحت نظرة الناس إلى السحرة كنظرتهم إلى رجال الدين .

وكانت لهؤلاء السحرة مكانة خاصة ومركزا مميزا في البلاط الفرعوني. ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن السحر في المجتمع المصري لم يقتصر على السحرة من

---

[11] ــ عبد الرحمن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر بيروت 1983 - 927/2.

[12] ــ ينظر : سامية حسن الساعاتي : السحر والمجتمع ، دراسة نظرية وبحث ميداني ــ بيروت ط 2 1983 ص 17-18.

[13] ــ سامية حسن الساعاتي : نفسه /ص 16

الذكور فقط، بل كان لبعض النساء دراية تامة بالسحر والاتصال بالأرواح كمـــا هو الشأن في مجتمع شهرزاد في ألف ليلة و ليلة.

إن سيطرة السحر على المصريين القدماء كسيطرة العقائد نفسها ،إذ كـــانوا يستعينون به في أغراضهم الدينية والدنيوية، و يمارسونه في مختلف شؤونهم اليومية كالزراعة و الصيد و الزواج ، بل حتى تناول الطعام الذي يتم وفق طقوس سحرية معينة.

يمكن القول إن المصريين مارسوا جميع أنواع الســـحر بمختلـــف طقوســـه وصوره ،التي عرفها العالم القديم والمتداول في ألف ليلة وليلة بكل مظاهره من رقي وتعاويذ وتعازيم وتمائم وتحضير الأرواح وكشف الغيب والتنجيم وقراءة الطوالـــع وغيرها.

و للسحر مدارس متخصصة حيث اشتهر معبد (زايس) في سحر الأفـــاعي، وذلك بتحويل العصا إلى الأفعى بعد إلقائـــها علـــى الأرض بتـــلاوة والتعـــازيم السحرية. و قد كان للسحرة ((قوة السيطرة على الأفعى وتوجيهها إلى أي مكان يريدون لتنتقم من أعدائهم))[14]، ويعدونها أيضا من أشكال الجن.

و قد تجلت هذه الممارسات بصورة واضحة في قصة موسى عليه السلام مـع سحرة فرعون، و هم كما أشار القرآن[15] من أعظم السحرة . ولمـــا لم يوجـــد لهؤلاء غير عبادة ملوكهم الذين ادعوا الألوهية ، فإنهم سخروا فنـــون ســـحرهم لخدمتهم في حياتهم وفي مماتهم، وذلك بتحنيط جثث الموتى ودفنها وفق طقـــوس سحرية قصد حراستها، و التي لازالت لغزا محيرا لذوي الاختصاص .

---

[14] ـــ المرجع السابق ص 94.

[15] ـــ قال تعالـــى (وَ جَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)) سورة الأعراف الآية 116.

عندما اكتشف الباحثون جثة الملك (توت عنخ أمون) وجدوا من بين المجوهرات الثمينة قطعة حديد عليها نقوش فرعونية مفادها أن ((كل يد تمسك تنقطع ، كل أنف يشمك يسقط، كل عين تراك تنطفئ، اهض هادئا صاحب الجلالة))[16]. ويذكر أنيس منصور أن هذا الملك هو مصدر لعنة الفراعنة ((فكل الذين لمسوه طاردهم الموت الواحد بعد الآخر مسجلا بذلك أعجب وأغرب ما عرف الإنسان من أنواع العقاب))[17]. يتضح أن هذه اللعنة التي تلاحق كل من لمس جثث هؤلاء الفراعنة أو قبورهم فإنه يصاب بسوء .

إن هذا الأثر السحري العجيب المتوارث جيلا عن جيل راسخ عند العامة، فهي توظفه في أغراضها الحيوية المتعلقة بالزواج و البحث عن الكنوز واستطلاع الغيب كما سيتضح لنا بعد قليل . لقد وجد سارد ألف ليلة و ليلة في هذا الأثر منفذا لينسج حوله الكثير من الحكايات العجيبة ، كما أنه وجد في ما نسج حول شخص النبي سليمان عليه السلام مادة وفيرة مليئة بالخوارق بخاصة حول الخاتم والبساط والجن التي لم تتوقف شهرزاد عن ذكرها في حكاياتها.

---

[16] ـــ أنيس منصور : لعنة الفراعنة وشيء وراء العقل ـــ دار الشروق ط 2 1978 ص 14.

[17] ـــ المرجع السابق ص 15.

الفصل الأول

الأبعاد الأنطولوجية للسحر

1 - الإنس و السحر

2 - الجن و السحر

3 - الحيوان و السحر

1 – الإنس و السحر:

لم يستطع الإنسان في حياته الأولى فهم مكونات الكون وأسراره، فتخيل قوى خفية مسيطرة عليه ذات قدرة خارقة، فعمل على استرضائها بتقديم القرابين والضحايا . وبمرور الأيام اهتدى إلى القلائد والتمائم يضعها حول عنقه قصد حماية نفسه ودفع شر أعدائه، و ((شاع الاعتقاد بأن الرقية و التعويذة أو القسم المقدس تجبر القوى الخفية على أن تطيع الإنسان)) [18] و بهذا الاعتقاد أنتقل الإنسان من طور استرضاء الآلهة إلى طور ممارسة السحر و جعله أساسا جديدا لصراعه مع القوى المناهضة له. و منذ ذلك الحين صار السحر من المعتقدات الشائعة في معظم الثقافات الإنسانية، فهو (السحر) يعين الإنسان في حل مشاكله اليومية و الغيبية.

و تعد ألف ليلة وليلة مثالا بارزا لهذه المعتقدات، إذ نلمس أعدادا غفيرة من الممارسين للسحر في معظم الحكايات، و هم موزعون توزيعا مناسبا يتماشى والحدث السحري للشخصية في الحكاية. وإذ تقوم هذه الشخصيات بمختلف الأعمال والممارسات السحرية التي يتطلبها الموقف لمعالجة المصاعب والتغلب على مشاكلها و لا يتسنى لها ذلك إلا وفق طقوس معينة كقراءة التعاويذ و التعازيم على الماء و التراب أو الرماد وإحراق البخور بغية تفعيل السحر أو إبطاله ، أو إراقة دماء الحيوانات و الطيور لأن دم الضحية القربانية هو الشراب المفضل، ((إنه الغذاء الذي يؤدي إلى تجدد القوى المقدسة المنهكة الموضوعة في خدمة البشر والوسيلة التي بواسطتها تنعكس هذه القوى عليهم من جديد)) [19] لتشتد قدرتهم

---

[18] ــ سليمان مظهر : قصة الديانات ــ دار الوطن العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ ص ف من المدخل.

[19] ــ BASTIDE . R – Le Sacré sauvage et autres essais, Payot , Paris 1975 p44.

على الحياة أو ا لبقاء لاسترضاء الجن وقد يلجأ إلى ضـــــرب الرمـــل و التنجيـــم والسيمياء بغية التطلع إلى المستقبل ومعرفة خباياه.

ومن الشخصيات التي ألفناها حاضرة، بل لعلها من أكثر النماذج البشـرية تواجدا، وبشكل مكثف في المواقف السحرية في نص ألف ليلة وليلة:

- المرأة :

وظفت شهرزاد المرأة في حكاياتها مع الملك شهريار توظيفا فنيـــا بارعـــا بحيث جعلتها المحور الأساسي الذي تدور حوله جميع الحكايات والأحداث . و هي لم توظف بوصفها ذاتا أو جسدا أنثويا فحسب، و إنما بوصفها رمزا و موضوعـــا جماليا لا يستغني عنه، و كأنها بذلك تشير إلى ضرورة المرأة في حياة الإنســـان، أو بالأحرى في حياة شهريار .و على هذا الأساس وصفت معظم الحكايـــات المـــرأة بالصبية. و لفظة (صبية) كما توحي حكايات ألف ليلة وليلة تدل على هذه المعاني، أضف إلى ذلك أن مجتمع الليالي لا يتصور الجمال إلا في الشباب .

ووصف المرأة بالصبية التي تكاد تشمل جل الحكايات ،عبارة عن تقنية فنيـة لجأت إليها شهرزاد لجلب الانتباه وشدّ الأنظار و ((كأن الحكايات أفلاما سينمائية تقوم بأدوار البطولة فيها نفس الممثلة الواحدة))[20]. والغريب أن هـــؤلاء الصبايـــا يتعرفن إلى المسحور من النظرة الأولى دون استحضار طقوس معينة، و هنا تكمـــن قدرتهن السحرية، وإتقانه إتقانا شديدا مما يجعلهن قادرات على تحويل أي إنسان إلى غير صورته الأصلية ، أو إرجاعها إليه دون عناء .

---

[20] ـــ بوعلي ياسين : صورة المرأة في حكايات شهرزاد ـــ مجلة دراسات عربية ـــ بيروت ـــ ع 7 1982 ص 83.

و من النماذج الدالة على ذلك حكاية التاجر والعفريت التي يصطحب فيها الجزار الصعلوك الثالث الذي سحرته زوجته في صورة كلب بعد اكتشاف خيانتها له إلى بيته ، فلما رأته ابنته غطت وجهها، وحدثت أباها قائلة((أتجيء لنا برجل و تدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل ؟ فقالت إن هذا الكلب سحرته امرأته وأنا أقدر على تخليصه))[21].إن تحويل الإنسان إلى حيوان دلالة على الأذى الذي يلحقه مفعول السحر بمن يسحر .

لقد استحسن الأب قدرتها السحرية على إزالة الغبن عن الزوج المسحور حيث أرجعته إلى إنسانيته، ثم انتقمت الصبية للزوج من زوجته بأن سحرتها في صورة بغلة. بهذه الصورة تثبت شهرزاد لزوجها الملك شهريار أن النساء لسن سواء و إن كن متماثلات في طبيعتهن، لكنهن مختلفات في سلوكهن.

ومن المثير للانتباه أن أغلبية هؤلاء الصبايا يتعلمن السحر من العجائز، كما في حكاية علاء الدين إذ تذكر (حسن مريم) ، أن جدتها ((كانت ساحرة تحل الرموز و تختلس ما في الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كتر فلما كبرت أنا وبلغت من العمر أربعة عشر عاما ... وكانت جدتي حين ضعفت وهبت لي هذه الخرزة و أعلمتني بما فيها من الفضائل))[22] .

و بذلك تورث العجوز حفيدتها فضائل سحرها الذي سخرته لخدمة شبابها و جمالها، إذ لولاه لما تمكنت من الزواج بعلاء الدين أبي الشامات . و هكذا يتضح أن ((قوة السحر لا تكون عادة في الليالي إلا لهؤلاء الشريرات من العجائز أو من

---

[21] - ألف ليلة و ليلة 1 / 14

[22] - المصدر السابق 3 / 9

يشبهن))[23]، حيث يبرز دورهن في تعليم الصبايا السحر ، ففي حكاية الحمال والبنات الثلاث يتعجب ملك الهند عندما يدرك أن ابنته تتقن فنون السحر و عندما يسألها تجيبه ((يا أبت كان عندي و أنا صغيرة، عجوز ماكرة ساحرة علمتني صناعة السحر و قد حفظته و أتقنته وعرفت مائة وسبعين بابا من أبوابه أقل بابا منها أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف وأجعل أهلها سمكا في وسطه ، فقال أبوها باسم الله عليك ... و هل فيك هذه الفضيلة و لم أعلم))[24]. يبدو للوهلة الأولى أن تعليم الأميرة السحر قد استغرق زمنا طويلا في غفلة من الملك إلى أن أظهرت له براعتها و قدرتها على تحويل رعاياه إلى سمك ونقل عاصمة ملكه خلف جبل قاف .

لم يحتج الملك أو يعترض على هذا العلم ، بل سرّ أعظم السرور بوصول ابنته إلى هذه المرتبة، و لم يكن يدانيه أدنى شك بأن السحر طقس من الطقوس التي ينبغي أن يتعلمها أبناء الملوك و الأسياد للحفاظ على الملك و السلطة ، و لذا أوجد ((ملوك الفراعنة مدارس للسحر بجانب مدارس الكهنوت، ووضعوها تحت رعايتهم وشملوها بعنايتهم، وكانوا يعدونها من مفاخرهم))[25] و لم يكن السحر مجرد طقس فحسب ، و إنما كان خصلة من الخصال الحميدة التي ترفع صاحبها و تحفه بالثناء و الإطراء .

من أجل ذلك تخضع بنت السقطي لشروط جاريتها كي تعلمها السحر، نقرأ ذلك في حكاية عذرة اليهودي و علي المصري ((يا سيدتي ما أحد علمك هذا الفن إلا أنا و اتفقت معك ألا تفعلين شيئا إلا بمشورتي والذي يتزوج بك

---

[23] ـ سهير القلماوي : ألف ليلة وليلة ـ القاهرة ـ 1969 ص 307.

[24] ـ ألف ليلة و ليلة 1 / 62

[25] ـ سامية حسن الساعاتي : السحر والمجتمع ـ ص 33.

يتزوجني وتكون لي ليلة و لك ليلة))[26] ، ومن ثم تظهر أهمية السحر في مجتمع شهرزاد في تبادل المواقع بين الشخصيات، حيث تخضع السيدة لجاريتها وتقبل بشروطها من أجل أن تعلمها السحر الذي لا تقدم على ممارسته دون استشارتها.

وهكذا تبرز شهرزاد – في الليالي – رؤية إيجابية في إلغاء الفوارق الاجتماعية بين السيد والمسود كما يتجلى ذلك في كثير من الحكايات[27] بغية إعادة صياغة العالم و بنائه من منظور حكائي ، و إرساء قيم جديدة لزوجها (شهريار) .

لم تبق شهرزاد السحر حكرا على بني جنسها ، حتى لا تزداد النظرة السوادية لزوجها الملك شهريار قتامة تجاه بنات جنسها ، و هي التي أخذت على نفسها عهدا أن تنقذهن من شر هذا الملك . فحدثته بكل مظاهر السحر من خلال حكايات عن بني جنسه بمختلف عقائدهم وتصوراتهم السحرية ، و من هؤلاء الأجناس نذكر :

١- العرب :

اشتهر العرب قبل الإسلام بالكهانة فقد كانت صفة ((فيهم على الأكثر وفي غيرهم على وجه النذرة، لأنهم شيء يتولد على صفاء المزاج الطبيعي))[28]، والعرافة والتنجيم وكانوا يلجئون إلى الكهان لاستشارتهم في الأمور المعضلة، إلا أن ((الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي سادت المنطقة العربية خلال الألف عام الماضية، عمقت الاعتقاد بالخرافات وتلونت ممارسات السحر

---

[26] – ألف ليلة و ليلة 4/ 180

[27] – ينظر : المصدر السابق 94/4.

[28] – المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – 1966. 416/1.

والشعوذة باللون الفكري الذي ساد المنطقة))[29] ،وتوجهت لتعبر عن تطلعـــات وأحلام الفئات المحرومة، كالبحث عن الثروة بغية التغلب على المشاكل اليومية.

يتجلى ذلك في حكاية جودر الصياد إذ يخبره الساحر المغربي (الشيخ عبد الصمد)عن أخيه (عبد الرحيم) الذي علمه السحر ((إنه مسلم مالكي المذهـب و كان قد علمنا الرموز و فتح الكنوز والسحر و صرنا نعالج ، خدمتنا مردة الجـن والعفاريت ، قد مات والدنا ... فوقع بيننا اختلاف في كتاب اسمه أساطير الأولـين لا يقدر له ثمن لأنه مذكور فيه سائر الكنوز و حل الرموز و كان أبونا يعمل بـــه ... فحظر مجلسنا شيخ أبينا الذي كان قد رباه و علمه السحر والكهانة و كـــان اسمه (الكهين الأبطن) ... فقال : من أراد أن يأخذ هذا الكتـــاب فليذهـــب إلى معالجة فتح كتر الشمردل))[30] .

و يمكننا القول أن الشخصيات (عبد الصمد و عبد الرحيـــم) الـــتي وظفتـــها شهرزاد في هذا النص ، شخصيات إسلامية سنية مالكّية المذهـــب ، تنتســـب إلى المغرب الأقصى ، و المغاربة لهم وقع خاص في الذهنية الشعبية التي مازالت تعتقـــد أنهم يتميزون بقدرة سحرية مذهلة خاصة في مجال فتح الكنوز واتخـــاذ الســـحر وسيلة للاسترزاق .

[29] ـــ ابراهيم بدران و سلوى الخماش : الدراسات في العقلية العربية / بيروت ط 2 1979 ص 235/1.

[30] – ألف ليلة و ليلة 4 / 64

نلاحظ من خلال هذه الحكايات أن شهرزاد جعلت ممارسة السحر وتعلمه* لدى المسلمين مباحا، على الرغم من أن الدين الإسلامي يمنع ذلك إلا أن السارد انتهك المحظور و جعله في متناول الجنسين ، سواء بالنسبة للمسلمين أولغيرهم من العقائد و الأجناس . يعلل عبد الملك مرتاض الإقبال على تعلم السحر في مجتمع الليالي بقوله: ((إن قصور العلم يومئذ أحدث فراغا في الذهنية الشرقية الخصبة التي أقبلت على السحر و الغيبيات لتكتمل بما لديها صورة الحياة))[31]، و إذا كان تعلم السحر في العهود القديمة أكثر استفحالا و أوسع انتشارا و ممارسة ، لقلة انتشار العلم، فإنه مازال إلى يومنا هذا يسود المجتمعات العربية و الإسلامية و غيرها على حد سواء .

لم يقتصر السحر على الطبقات الدنيا من المجتمع ، بل كان يمس كذلك الطبقات الفوقية ، ففي (حكاية الحمال و البنات) تطلع الصبية الخليفة " هارون الرشيد " عن حال العفريتة التي سحرت أختيها في صورة كلبتين بأن أعطتها خصلة من شعرها لتحضر إليها وقت الحاجة ، فأخذها الخليفة ، وأحرق منها شيئا، فلما فاحت رائحته اهتز القصر و إذا بالجنية قد حضرت ، وكانت مسلمة ، فحيته بتحية الإسلام و فكت السحر عن الأختين إكراما له ولمكانته.

---

* ـــ قال الله تعالى : ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينَ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانَ وَلَكِنَ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)) سورة البقرة الآية 102 ، أظهرت الآية أن العلة في الكفر هو السحر .

[31] – عبد الملك مرتاض : ألف ليلة و ليلة حكاية حمال بغداد و البنات الثلاث تحليل تفكيكي سيميائي ص56.

و نظرا للمقدرة الخيالية و البراعة الفنية التي تحظى بها شـــــهرزاد ، لم تبـــق السحر مقتصرا على الشخصيات العربية بل جعلته مستمدا من مجتمعات مختلفـــــة ومتباينة الأعراف و المعتقدات ، كبلاد فارس إذ نجد على ســـبيل المثـــال الملـــك (طيغموس) الذي كان يرغب في إنجاب ولد يخلفه في ملكه ، فجمـــع المنجمـــين والحكماء و أرباب المعرفة والتقويم و قال لهم :((انظروا طالعي هل يرزقني الله في عمري ولدا ذكرا فيخلفني في ملكي))[32]، يبدو أن هـــذا الملـــك لم يتـــورع في استخدام السحر و السحرة في طرق باب الغيب قصد التطلع إلى المستقبل ومعرفـــة خفايا القدر بغية أخذ الحيطة والحذر في غياب الولد الذكر.

المجـــــــوس :

ترتبط كلمة ((مجوس اللاتينية الأصل بقبيلة فارسية قديمـــة تخصصـــت في عديد من النشاطات التعبدية، ومنذ القرن الأول الميلادي استخدمت كلمة مجـــوس للإشارة إلى السحرة الرافدين من بابل، وبانهيار الإمبراطورية الفارسية ، حدثـــت تفرقة بين المجوس الفارسيين الذين تميزوا بالمعرفة الدينية العميقـــة، وبـــين المجـــوس البابليين الذين اعتبروا غالبا من السحرة المشعوذين))[33].

يظهر المجوس في الليالي من عبدة النار و الشمس ، و تصفهم الحكايـــــات بأسوأ الأخلاق ، النفاق و الفسق و المكر و الحقد على المسلمين. يظهرون الإسلام و يبطنون المجوسية . وكثيرا ما كانوا يندسون في حياة المسلمين ويحملـــون اســـم (بهرام) في معظم الحكايات.

---

[32] – ألف ليلة و ليلة 4 / 257 .

[33] ـــ ينظر : سامية الساعاتي : السحر والمجتمع ص 18.

نصادف شخصية (بهرام) في حكاية حسن الصائغ البصري في ألف ليلة وليلة، حيث اتصفت بكل الأوصاف الحقيرة السابقة حيث تمكن " بهرام " من إغراء " حسن " بتعليمه صناعة تحويل النحاس إلى ذهب لينقله في رحلة ميثولوجيا إلى جبل السحاب قصد الحصول على النبتة السحرية التي تدخل في هذه الصناعة حيث ذكر له ((أن صنعة الكيمياء لا تصلح إلا بحشيش ينبت في المحل الذي يمر به السحاب و ينقطع عليه و هذا هو الجبل و الحشيش فوقه فإذا حصلنا الحشيش أريك أي شيء هذه الصنعة))[34] ، فلما بلغ " بهرام " مراده غرر بـ "حسن" تركه فوق الجبل بغية التخلص منه . و الملاحظ أن أم " حسن " ومن خلالها مجتمع شهرزاد، كانت تدرك جيدا أن المجوس سحرة و هم لا يحفظون وعدا أو عهدا . وقد سبق لها أن نبهت ولدها ((احذر أن تطيع كلام الناس وخصوصا الأعاجم فلا تطاوعهم في شيء فهؤلاء غشاشون يعرفون صنعة الكيمياء ينصبون على الناس، و يأخذون أموالهم بالباطل))[35] .

يتضح من ألف ليلة و ليلة أنه لم تكن للسحرة المجوس سوقا رائجة في ديار المسلمين، لأنهم كانوا ينظرون إليهم نظرة ازدراء وكره و مقت، لأنهم يأخذون أموال الناس بالباطل، و مع ذلك فإن ((ديار الإسلام لم تخل على مر التاريخ من السحر والسحرة))[36] . على الرغم من ملاحقتهم بالقلم والسيف لخبثهم ودجلهم، لهؤلاء السحرة الذين لا نصادفهم إلا عرضا في ألف ليلة وليلة .

---

[34] – ألف ليلة و ليلة 4 / 269

[35] – ينظر المصدر السابق 3 / 313

[36] – سليمان الأشقر : عالم السحر والشعوذة ــ الأردن ــ ط3 1997 ص 50.

3- اليهـــــــود :

لا يختلف اليهود عن صفات سابقيهم من المجوس إلا في حب المال، حيـــث تتمثل فيهم كل صفات المكر و الخداع الممزوجة بالممارسات السحرية، وتظـــهر هذه الأوصاف جليا في حكاية جانشاه ،حيث يلتقي في أثناء رحلته الميثولوجيا إلى أرض الجن في البحث عن زوجته " شمسة " بتـــاجر يـــهودي ، يغريـــه بالمـــال والجنس،ويعطيه ((ألف دينار و جارية بديعة الحسن والجمال))[37] لينقله إلى قمـــة جبل بطريقة سحرية لم تخل من المخاطر، ليجلب له الجواهر الكريمـــة و المعـــادن الثمينة ، ثم يغرر به و يتركه تائها ، و كان هذا دأبه في كل سنة يسخّر شابا مـــن أبناء المسلمين ،ليجلب له هذه الأحجار الكريمة من قمة الجبل بطريقة سـحرية، ثم يتركه يموت وحيدا فوق قمة هذا الجبل . وتكرس هذه النزعة التعصبية في حكايـــة علي الزئبق حين يصادف عذرة اليهودي ، إذ تصفه شهرزاد بأنه ساحر مكـــار غدار يستغل قوته السحرية في مسخ شباب المسلمين في صور حيوانية ٪

و في نهاية الحكايات نجد هذه الشخصيات المسلمة " جانشاه علي الزئبـــق، حسن البصري" تنتصر على اليهود السحرة امتثالا لقوله تعالى ((إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْـــدَ سَاحِرٍ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى))[38] .وأنى للساحر الفلاح والنجاح إذا كان لا يتردد أو يتورع في إيذاء جميع البشر ؟ من أجل ذلك نجد شهرزاد تذم الســـاحر وتسفهه على لسان شخصياتها الحكائية .

٪ في حكاية جانشاه يتحدث أحد ملوك الجن " شماخ " عن الراهب الـذي أسره و جعله من أحد أعوانه ((ما غلبني سوى هذا الراهب مـــن شـــدة مكـــره

---

[37] - ألف ليلة و ليلة 3 / 328

[38] - سورة طه الأية رقم 69

وأقسامه و سحره ... وهو ساحر كاهن ماكر مخادع خبيث اسمه " يغموس " وقد حوى جميع الأقسام والعزائم))[39]،و هذا دأب السحرة في جل الحكايات، حيث لا يذكر الساحر إلا مع مذمة كما هو الشأن في المجتمعات الشعبية ، وإن كان يبدو دوره أحيانا إيجابيا في كثير من الحكايات[40].

يتضح مما سبق أن ممارسة السحر و السيمياء[41] كانت محظورة و صنعة مذمومة في مجتمع شهرزاد ، لكن هذا الحظر لم يمنع العامة و الخاصة من الاعتراف بالمؤثرات السحرية ،والإقبال عليها سرا أو جهرا ، على الرغم من العقوبات القاسية على الممارسات السحرية ،كما نجد ذلك في حكاية (كيد النساء)، حيث

يتحدث أحد الرعايا عن ملكه فيقول :((إن ملكنا عادل حسن السيرة محسن لأهل دولته منصف لرعيته ، و ما يكره في الدنيا إلا السحرة فإذا وقع في يده ساحر أو ساحرة ألقاهما في جب خارج المدينة ، و يتركهما جوعا إلى أن يموتا))[42]، وقد كان السحرة أنفسهم يدركون نبذ الحكام للسحر والسحرة، ويخشون أن تزهق أرواحهم ، إن هم ضبطوا يمارسون السحر.

يؤكد ذلك ما جاء على لسان المجوسي الساحر في حكاية (حسن البصري)، الذي عزم أن يفتح له دكانا قصد تعليمه صناعة تحويل النحاس إلى

---

[39] ألف ليلة و ليلة 3 / 363

[40] – ينظر: حكاية التاجر و العفريت و حكاية الملك " يونان و الحكيم روبان "

[41] ـــ السيمياء : فن أوجده أنونيوس منذ عهد موسى عليه السلام وهي تستعمل للدلالة على السحر الطبيعي، ويفضل ابن خلدون تسميتها بعلم أسرار الحروف، وبهذا المعنى اعتقد غلاة المتصوفة أنهم قادرون على التصرف في العالم الطبيعي بهذه الحروف والأسماء والأشكال الناشئة عنها وزعموا أن لأسماء الله الحسنى مظاهر في أرواح الأفلاك والكوكب وأن طبائع الحروف وأسرارها السارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان على هذا النظام. وإن خلا صاحب الأسماء من معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف، واقتصر على مناسبات الأسماء وطبائع الحروف والكلمات وتصرف بها من هذه الحيثية كان من أهل السيمياء . ـــ دار المعارف الإسلامية ـــ تر: محمد ثابت الفندي وآخرون 13/20-22.

[42] – ألف ليلة و ليلة 3 / 83 .

ذهب ، لما كان لهذه الصناعة السحرية من أثر في المجتمع المصري، إذ كان للأغنياء ولع شديد في تحويل النحاس إلى ذهب، وذلك للبحث في كتب الكيمياء وغيرها دون الوصول إلى هذا الأمل الكاذب ، حتى إن بعضهم ضيع ماله وعمره ، ولكنه لم يضع آماله في صحة معتقده في تحويل النحاس إلى ذهب[43]،ليفاجأه بحديثه ((يا ولدي هل رأيت أحدا يتعلم هذه الصنعة في قارعة الطريق و في الأسواق فإذا اشتغلنا بها في هذا المكان يقول الناس هؤلاء يصنعون الكيمياء فتسمع بنا الحكماء ، و تروح أرواحنا))[44].

نستنتج مما سبق أن السحر لم يكن يمارس إلا سرا خوفا من بطش السلطة وعقابها الصارم لحد الموت، في حق من ثبت تعاطيه السحر ، يبدو أن هذه العقوبة اقتصرت على الحكايات ذات الصلة بالمجتمعات الإسلامية ،التي كانت تحضر السحر و لو في المواقف الرسمية ، و كان لهذه العقوبة في العصور الوسطى صدى في المجتمعات الغربية، حيث بذلت بعض الدول الأوربية قصارى جهدها في فرض أقصى و أشد العقوبات على السحرة، أخفها الإعدام شنقا أمام الجمهور[45] ، لكن هذه العقوبة ألغيت في القرن الثامن عشر ، فوجد الناس الفرصة لمزاولة السحر وتعلمه و العمل به جهارا نهارا ،و انتشر انتشار الخيط اللامع في الظلام الدامس، وأصبح للسحرة الكلمة المسموعة و المكانة المرموقة.

لم تكن عقوبة السحرة قاسما مشتركا في كل الحكايات، بل نألفها متباينة، في حكاية الملك " يونان و الحكيم روبان "، حيث كان الملك مريضا بالجذام فعالجه الحكيم ، فقال الملك : ((هذا دواني من ظاهر جسدي و لم يدهني بدهان

---

[43] ـــ ينظر : سليمان مظهر : قصة الديانات ، دار الوطن العربي للطباعة و النشر ص ف (من المدخل)

[44] – ألف ليلة و ليلة 4 / 259

[45] –ينظر : إبراهيم محمد الجمل –جذور الشر " الحد ، السحر ، إبليس " من منظور إسلامي بيروت ط 1 ، 1985 ص 127

والله ما هذه إلا حكمة بالغة ، فيجب علي لهذا الرجل الإنعام و الإكرام وأن أتخذه جليسا و أنيسا مدى الزمان))[46]، فلم ينل الحكيم حظوة الملك ورضاه إلا بمقدرته السحرية .

و آية القول أن الشخصيات الحكائية، تميزت بالقدرة الفائقة على ممارسة السحر و إتقانها له إتقانا شديدا ،مما جعل في استطاعتها تحويل الإنسان من صورته الأصلية إلى صورة حيوانية بأدنى عناء ، و التنقل بسرعة و حرية فيما بين الأقطار المتباعدة .

و الاشتغال بالسحر غالبا ما كان يتم بالوراثة أبا عن جد، و الطريف في ذلك أن الذهنية الشعبية كانت تعتقد أن الوارث لهذا الفن على دراية واسعة بالأعمال السحرية ، فحرص السحرة على توريث خلفهم هذه المهنة لما تدره عليهم من أموال وفيرة في أغلب الأحيان أو تظفي عليهم مكانة مرموقة. و ينضاف إلى ما تقدم أن الشخصيات السحرية تعترض طريقها في كثير من الأحيان أخطار حقيقية لا يمكن تجاوزها إلا بإحضار الجن وفق تصرفات و طقوس سحرية .

2 - الجـــن و السحر:

تعريف الجن :

الجن بكسر الجيم كلمة عربية تفيد معنى التخفي و التستر قال تعالى ((فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا))[47] ، و جاء في لسان العرب : ((كل شيء ستر

---

[46] - ألف ليلة و ليلة 1 / 21

[47] سورة الأنعام الآية رقم 76

عنك فقد جن عنك و في الحديث جن عليه الليل أي ستره و بـــه سمـــي الجـــن لاستتارهم و اختفائهم عن الأبصار و منه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمـــه))[48].

وبذلك فكلمة الجن مشتقة من الإجتنان أي الاستتار، وكل ما ستر عن الإنســـان جن عنه ، و قد يقال للميـــت في قبره جنينا لكونه مختفيا عن الأعـــين ، ومـــهما يكن من أمر فالجن عالم خاص أخفاه الله عن الحواس ومدركات العقول لأسباب يعلمها وحده ، و أفرد لهم في الذكر الحكيم سورة كاملة سماها سورة الجن.

إن موضوع الجن شائك و متشعب يصعب على الباحث الخوض فيه والإلمام بشعابه ، لأنه يرتكز على استقصاء عالم خفي غير منظور و لا يقاس بمقياس مـادي و لا يخضع للحواس ، و للناس فيه معتقدات شتى تختلف بـــاختلاف مجتمعـــاتهم وطباعهم و عاداتهم و تقاليدهم و مستوى تعلمهم و جهلهم ، كل له موقـــف ذو شجون مع الجن و عالمهم المثقل بالسحر والدجل و الشعوذة .

يشاع بين الكثير من الفئات الشعبية أن الجن مثـــار للخـــوف والفـــزع والتهيب حتى من ذكر اسمه على الرغم من وجود علاقات غـــرام وحـــب وزواج وتعاون على مشاق الحياة و صعابها ، و تسخير الجن في القضاء على كثـــير مـــن الحوائج باستخدام الطلاسم و العزائم و إحراق البخور و غيرهـــا مـــن الوســـائل السحرية .

للمعتقدات حول الجن مصادرها المتعددة منها ما ينبع من معتقدات بدائيـــة تكونت من خوف الناس من الطبيعة وأهوالها ، و منها ما هو نابع من تصـــورات وتوهمات مختلفة ، مما أعطى للجن مكانة هاما في القصص الشعبي و في الواقـــع أن جل أساطير الشعوب لا تخلو من حكايات الجن، وإن اختلفت أشكالها من شـــعب

---

[48] – ابن منظور: لسان العرب ــ بيروت ــ 1968/7 ص 93.

لآخر ، وهي في كل الأحوال ظاهرة عامة في كل المأثورات الشعبية العالمية ، ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضوع . وتحدثت عنها الميثولوجيا العربية بهذا الاعتقاد بوجود الجن اعتقادا مثبتا لا شك فيه ، بعد أن كان مجرد اعتقادات وأساطير شعبية متوارثة .

الجن في المتن الحكائي :

يتحدث المتن الحكائي في ألف ليلة و ليلة بإسهاب كبير وذلك راجع إلى ما تناقلته الذهنية الشعبية عن الجن، إذ عادة ما يلمح المتلقي أن ليس هناك حجاب بينها وبين العامة، و كأنها تراه رأي العين ((فكثير من الناس في عصرنا وقبل عصرنا شاهد شيئا من ذلك، والكثير من الذين يشاهدونهم ويسمعونهم لا يعرفون أنهم جن))[49]، فالعالم الخفي عن الأبصار يظهر بمظهر الحياة الطبيعية المحضة في كل تفاصيلها، ولا يميزه عن الإنسان غير الخوارق العجيبة والغريبة التي تحتل مكانا مرموقا في ألف ليلة وليلة، وجاءت مقرونة بأخبار النساك و الخلفاء و الأنبياء ، إذ تعد شخصية النبي سليمان عليه السلام العنصر الخصب الذي استقت منه شهرزاد مضامين حكاياتها، فنادرا ما تذكر حكاية دون الإشارة إلى النبي سليمان أو إلى إحدى عجائبه السحرية، و التي لا يمكن تحقيقها إلا بواسطة الجن فهم يؤلفون عنصرا هاما في هذا المتن الحكائي حيث نجدهم في كل المواقف تقريبا يؤدون الدور الرئيس فيها و أحيانا يشاركهم فيها الإنسان .

---

[49] ـــ سليمان الأشقر عالم الجن والشياطين ـــ البليدة الجزائر ص 11.

ينقسم الجن في الليالي من حيث النوع و الوظيفة إلى قسمين هامين:

الجن الأشرار ورذائلهم :

عادة ما يكون هؤلاء من غير المسلمين، وينحازون في مواقفهم إلى أعدائهم وهم قليلو الظهور في الليالي يؤذون البشر و يلحقون بهم الضرر بواسطة السحر ، ففي حكاية الحمال و البنات الثلاث يسحر العفريت (جرجيس) الصعلوك الثاني في صورة قرد هرم ، و في حكاية التاجر والعفريت ، يظهر العفريت فجأة للتاجر الذي رمى نواة تمر، فاتهمه بقتل ولده و أول ما فكر فيه القتل ((قم أقتلك كما قتلت ولدي))[50] . قد يظهر هؤلاء الجن في صورة خارقة مخيفة غير مألوفة للإنسان مثلما ظهر في حكاية الصياد والعفريت، حيث كان هذا الصياد يقتات من حرفة الصيد ، فاصطاد ذات يوم قمقما من نحاس ففتحه فإذا بدخان يخرج ويتصاعد إلى عنان السماء يتكاثف فيصير عفريتا رأسه في السحاب و رجلاه في التراب، فارتعد الصياد خوفا، و اضطرب عندما خاطبه العفريت ((أبشرك بقتلك هذه الساعة أشر القتلات))[51].

تصور ((ذلك المعتقدات الفارسية الجن الذكور في صورة أرواح شريرة مؤذية))[52] ، بيد أن شر هؤلاء العفاريت لا يطول إذ سرعان ما يزول ، أما العفريت فيمهل التاجر سنة ليقتله ، ثم يقبل فديته مقابل سماعه الحكايات الغريبة للصعاليك الثلاث .

---

[50] – ألف ليلة و ليلة 1 / 8

[51] – ألف ليلة و ليلة 1 / 16

[52] ــ كاملي بلحاج : أصول المعتقدات الشعبية ومظاهرها ص 76..

تتغلب الأميرة الساحرة على العفريت " جرجيس " لتحرقه بسحرها في معركة سحرية ضارية، بغية تخليص الصعلوك من سحره و تعيده إلى إنسانيته ، أما الصياد لما تأكد أنه مقتول لا محالة دبر حيله أوقع فيها العفريت ،و أعاده إلى القمقم، فاعترف بذنبه، و أوعد الصياد بالثروة إن هو أطلق سراحه .

يبدو مما سبق أن الحاكي أظهر أن الإنسان بذكائه و فكره أقوى من الجن ، على خلاف ما تصوره الذاكرة الشعبية ، تماشيا مع ما جاء في حكاية في شأن الجن المسجونين في القماقم من عهد سليمان[53] ، حيث إن النبي سليمان عليه السلام عندما جهز عساكره لمقاتلة أحد الملوك المردة نصب بساطه" وجعل وزيره أصف بن برخيا على جانبه الأيمن ووزيره الدمرياط ((ملك الجن على جانبه الأيسر و ملوك الإنس على يمينه و ملوك الجن على يساره))[54] .

وبذلك تظهر قيمة الإنسان على قيمة الجن منذ عهد النبي سليمان عليه السلام لقوله تعالى ((وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدم))[55]، و التكريم هنا يفيد التفضيل على بقية المخلوقات، و على الرغم من ذلك تبقى الجن كائنات روحية مخيفة ومثيرة في حياة الناس ، وإن بقي خوف البشر من الجن يبقى سائدا في الحكايات وكذلك في الذهنية الشعبية .

---

[53] ـ ألف ليلة وليلة 27/4.

[54] ـ المصدر السابق 4 / 38

[55] سورة الإسراء الآية 70

الجن الأخيار و فضائلهم :

الجن الأخيار هم مصدر كل نفع للإنسان فهم الذين يسعون إلى إرشاد كل إنسان ونصحه ومؤازرته يسير في سبيل الخير ، و ينحازون في غالبيتهم إلى المسلمين إما لنصرهم و إما لتحذيرهم من المهالك و يشدون أزرهم ، هذه الصفات لا تظهر إلا في صفوف الجن المؤمنة الذين لا ((يخضعون للسحرة أو [الكهان] إلا إذا كانوا أسيري الطلاسم أو السحر))[56]، فهم يسبحون بحمد الله، و يحاربون أعداءه تصديقا للآية الكريمة ((وَ مَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ))[57] .

تتميز الجن المؤمنة في الليالي بعطفها على الإنسان و تسخير نفسها لأغراضه، وتكون أداة له في بلوغ مقاصده و حمايته من المخاطر المحدقة سواء أكانت من الإنس أو الجن ، كما في حكاية الحمال و البنات الثلاث حيث تعثر الصبية التاجرة في براري البصرة على حية بيضاء يطاردها ثعبان رجاء اغتصابها فأسعفت الحية التي حفظت لها جميلها ،و ظهرت في صفة جارية مفصحة عن حالها ((أنت الذي خلصتني من الثعبان فإنني جنية وهذا الثعبان جني و هو عدوي و ما نجاني منه إلا أنت))[58] .

إن عالم الجن يماثل عالم الإنس في بغي الذكور على الإناث ،و في تدخله بصفة لا إرادية في حسم الخلاف بين الجن و في إنصاف الضعيف منهم ،و أن الجن يحفظ للإنسان صنيعه و فضله .

---

[56] ــ فاروق خورشيد : عالم الأدب الشعبي العجيب : دار الشروق طبعة 1 1991 ص62.

[57] ــ سورة الذاريات الآية رقم 56.

[58] - ألف ليلة و ليلة 1 / 76

يوظف السارد الجن في الحكاية لغرض فني، من أجل دفع المواقف إلى التأزم، ففي حكاية أبي محمد الكسلان يخطف الجن زوجته ويقودها إلى أرض الجن، ليتركه وحيدا، وقد أضفت عملية الخطف على الحكاية نفسا جديدا، وضمن لها الاستمرارية في موضوع متجدد أكثر تعقيدا و تشويقا من أولها حيث توارى الجن الخاطف عن مقامه ،ويصبح عنصرا غير فاعل في الحكاية و تبوأ أبي محمد المكان البارز في بقية أطوار الحكاية حيث انتقل إلى أرض الجن بعد حصوله على الأداة السحرية المتمثلة في السيف المطلسم استطاع ((أن يحرق بما عليه من أرصاد وأسماء كل الجن، وأن يبطل كل الأعمال السحرية، وأن يحطم كل التعاويذ والطلاسم))[59] ، فتمكن بذلك من الاختفاء عن أنظار الجن الأشرار، فوصل حيث زوجته و عاد بها إلى عالم الإنس .

أما في حكاية (حسن البصري)، فإن السارد يلجأ إلى الجن لتحقيق الهدف السحري العجيب الذي يتعذر على الإنس إنجازه لوحده دون مساعدة الجن و إسهامهم في مغامرته، حيث تقوم الجنية بمساعدة (حسن) في بلوغ غرضه مخاطبة إياه ((يا أخي طب نفسا و قر عينا فأنا أخاطر بنفسي معك ... حتى أحقق لك غرضك إن شاء الله تعالى))[60] ، و بالفعل تحقق لحسن غرضه و غايته وتزوج بالجنية (منار السّنا) ابنة ملك من ملوك الجن، دون أن يكون دافعها في ذلك غاية خاصة، وتخلص الحكاية في الأخير إلى عرض لجوء الجن إلى الممارسات السحرية لمساعدة الإنس في بلوغ هدفه ، فالشيخ (أبو الريش) و هو من الجن المؤمنين يقدم بخورا لـ(حسن) وينصحه ((احتفظ بها و متى وقعت في شدة فبخر بقليل

---

[59] ــ فاروق خورشيد : عالم الأدب الشعبي العجيب ص60.

[60] -ألف ليلة و ليلة 4 / 286

منها و اذكرني فإني أحضر عندك وأخلصك منها))[61] . ثم أمر أن يحضر له عفريتا من الجن الطيارة يركبه ليبلغ مراده، وبذلك تمكن حسن من الوصول إلى عالم الجن والعودة بزوجته (منار) إلى عالم الإنس لتعيش معه كبقية البشر .

تعرض شهرزاد صورا عديدة لهذا الجن الخير الذي يتطوع لخدمة الإنسان دون أن يكون مسخرا بطلسم أو مرغما بطقوس سحرية معينة . ففي حكاية قمر الزمن تعجب العفريتة (ميمونة) بنت الدمرياط بحُسن وجمال (قمر الزمن) فتحدث نفسها ((و الله إني لا أضيره و لا أترك أحدا يؤذيه و من كل سوء أفديه))[62]، ولاشك أن النص يسعى إلى استكشاف بعض صفات الجن المؤمنة عندما تحب إنسيا تعطف عليه ولا تترك أحدا يؤذيه سواء من الجن أو الإنس ، وتحميه من كل عوارض السّوء .

هكذا تتميز الجن الخيرة بالطيبة والمودة في علاقتهم بالإنس ويقدمون لهم الهدايا الثمينة ، فهؤلاء الجنيات في حكاية حسن البصري يزوجنه بالجنية (منار السَّنا) وجهزن العروس بأحمال من الذهب والفضة، ويساير ذلك ما تناقلته الأساطير الشعبية في مخالطة الجن للبشر ومعاشرتهم ، حيث ((يقدمون هدية من البصل أثناء زيارتهم بالأنس ولكن سرعان ما تتحول هذه الهدية إلى قطع من الذهب بمجرد أن يعود الإنس إلى عالمه)) [63]، أو تطلع عليه الشمس في أثناء نومه.

---

[61] – المصدر السابق 4 / 327

[62] – المصدر السابق 2 / 230

[63] – أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – القاهرة ط I / 953 I ص 88.

الجـــــــن السحـــــــرة :

لا يتورع الجن السحرة اللجوء إلى الممارسات السحرية في مجتمع شـهرزاد ، مثلهم مثل السحرة من البشر، على الرغم من كونهم يتمتعون بقوى خارقة، ففـــي حكاية الحمال والبنات الثلاث يصرح العفريت للصعلوك الثاني ((تمنى علـــي في أي صورة أسحرك فيها))[64] ، فأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه ، وتكلم ، ثم رشـــه به ، فتحول من صورته البشرية إلى صورة قرد و لم يجد العفريت أي مشـــقة ولا عناء في عملية التحويل هذه ، وبذلك تساوى العفريت مع الإنس في الممارســات السحرية، وفي حكاية (حسن البصري) دفع الشيخ (عبد القدوس) لابنة أخيـــه بخورا وذكر لها ((يا ابنة أخي إذا أهمك أمر أو نالك مكروه وعرضت لك حاجـــة فالق هذه البخور في النار، و اذكريني فإني أحضر إليك بســـرعة فـــأقضي لـــك حاجتك))[65] . فأقبل العم بمجرد أن شم رائحة البخور، و على الرغم من أهمية هذه الإرادة السحرية في الشعوذة والسحر وإحضار الجن، إلا أنها تظهر بشكل مقتضب في ألف ليلة وليلة.

وقد يلجأ العفريت إلى السحر انتقاما لمن سبق فضله عليه وعرفانا بجميله الذي لم يكن يقصده، فالصّبية التاجرة ساعدت الجنية في صورة حية بيضاء، بمقاتلتـــها الثعبان الذي كان يطاردها،و الذي لم يكن في الحقيقة سوى جني شـــرير، ولمـــا تعرضت هذه التاجرة إلى الرمي في البحر من أختيها، تحضر إليها الجنية بالســـرعة المعهودة للجان إلى مكان الحادث لتسحر الأختين في صفة كلبتين عقابـــا لهمـــا وتسلمها خصلة من شعرها لتحرق جزءا منها من أجل إحضارها وقت الحاجـــة .

---

[64] – ألف ليلة وليلة 1 / 59.

[65] – المصدر السابق 4 /317 .

وكأن العفاريت لا تستجيب إلا بعد عملية حرق البخور وإشعالها لكونها خلقت من نار .

وفي نهاية الحكاية تظهر الجنية في حضرة الخليفة (هارون الرشيد) بعد أن أحرق جزءا من شعرها لتفك السحر عن الأختين الشريرتين إذ ترى الجنية نفسها أنها بهذا الفعل أحقت الحق وسلكت طريق العدل بسحرها. إن المشهد نفسه نلفيه يتكرر ولو في شكل تماثلي في كثير من الحكايات * .

وقد تخضع الجن لغيرها بفعل التأثيرات السحرية سواء أكانت ملوكا أم عواما مؤمنة أم كافرة ، فالعفريت دهنش المتمرد على طاعة سيدنا سليمان يصرح:((وما غلبني سوى هذا الراهب من شدة مكره وأقسامه وسحره))[66] ، لأن ((العزائم إذا قرأت على الجن أخافته خوفا شديدا))[67]، جعلته أداة في يد غيره[68] . والعجوز (شواهي) الجنية التي ساعدت (حسن البصري) في الوصول إلى مملكة الجن في جزر الواق واق حيث زوجته الجنية (منار) ، على الرغم من كونها من أكبر الساحرات حيث جاء في حديثها ((إني أحفظ أربعين بابا من السحر ، أقل باب منها أجعل به هذه المدينة بحرا متلاطم بالأمواج، وأسحر كل بنت فيها فتصير سمكة، ولكن كنت لا أقدر أن أفعل شيئا خوفا من الملك أبيها ، ورعاية لأخواتها لأنهم مسندون بكثرة الأعوان والأرهاط والخدم ، ولكني سوف أريكما عجائب سحري))[69] .

---

* ــ ينظر : حكاية التاجر والعفريت 11/1.

66 - ألف ليلة وليلة 362/3

67 ــ السيد الجميلي : السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق ــ باتنة ــ الجزائر 1987 ص 115.

68 ــ قال الله تعالى : ((وَأَنَّه كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ، فَزَادُوهُمْ رَهَقاً)) سورة الجن الآية رقم07.

69 - ألف ليلة وليلة 4/ 375 .

يصور النصّ القوة السحرية التي تملكها العجوز وقدرتها العجيبة في تثوير مياه البحار وتحويل البنات إلى سمك، وعلى الرغم من ذلك تظهر مثل أي بشر مستسلمة خاضعة لغيرها عاجزة عن تفعيل قدرتها السحرية للتخلص من ملوك الجان ،لأنها فقدت الأداة السّحرية ، وعندما أحضر حسن البصري الوسائل السحرية (القضيب وطاقية الإخفاء) عندها صرحت ((سوف أريكما عجائب سحري))[70]، وهكذا تلجأ الجن أيضا إلى الممارسات السحرية لحل المعضلات الاجتماعية سواء أكانت في العالمين الإنسي أو الجني وتخضع غيرها من بني جنسها وتتغلب عليها بطقوس سحرية وبوسائل سحرية عجيبة .

الوسائل السحرية :

وتظهر في ثنايا الحكايات حيث لا تأتي القوة السحرية إلا عن طريقها وبها توسل الوجدان الشعبي ليحقق على صعيد الخيال ما عجز عن تحقيقه على أرض الواقع.

ومن أهم هذه الوسائل حضورا في حكايات شهرزاد الخاتم السحري.

الخاتم السحري :

ينسب في أغلب الحكايات الى سّيدنا سليمان عليه السلام ، جاءه به جبريل عليه السلام من الجنة ، وأوصاه بعدم نزعه إلا عند الضرورة ، تختم به وجلس على كرسيه واستقبل الناس وخاطبهم : ((هذا الخاتم جمع الله فيه عزي وسلطاني وفضلني به ربي على العالمين ، وسلطني على كل شيطان مريد))[71]. وعند

---

[70] ـــ المصدر السابق 375/4.

[71] – النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب 14/ 93.

شهرزاد يمثل الخاتم في حكايتها المفتاح العجيب للقضايا السّحرية والقوة الخفيـــة، غالبا ما تكون عليه أسماء وطلاسم مكتوبة بطريقة معينة وغير مفهومة وكل مـــن يمتلكه يصل إلى مبتغاه من خلال المردة المرصودة لخدمة حامله ، بمجرد فركـــة أو فركتين على الخاتم يحضر المارد مرددا لبيك وسعديك خادمك بين يديك فاســـأل تعط ، فهؤلاء المردة يأتمرون بأمر حامل الخاتم وهم مكلفون بخدمته ولا يقدر أحـد على مخالفته لأنه مرصود لهذا الغرض .

الغريب أن السارد لم يجعل للمرأة حظاً عند شـــهرزاد في ملكيـــة الخـــاتم السحري إلا نادرا ، كما جاء في حكاية (معروف الإسكافي) ، حيث فقد خاتمـــه السحري بحيلة من وزير صهره الملك ، إذ هم بالتزوج من زوجة (معروف) غصبـــا فتحايلت عليه، واسترجعت خاتم زوجها، وأعادت أبيها إلى كرسي عرشه بعـــد أن كان قد عزله وزيره ثم ذكرت لهما ((أن الخاتم لا يصلح لك ولا لـــه ويكـــون عندي وربما احميه أكثر منكما))[72] بذلك تمكنت من الحفاظ على ملك أبيها حتى وفاتها .

إن الرجال الذين وهبهم القدر أو الحظ فرصة العثور علـــى هـــذه الأداة السحرية (الخاتم) عن طريق المصادفة الغريبة أو الممارسات السحرية وفك الرمـــوز، فإن أكثرهم من الفئات المحرومة كما سيأتي معنا في مبحث الكنوز الـــتي تتخـــذ الخاتم وسيلة قتالية .

في حكاية معروف الإسكافي يخاطبه خادم الخاتم بعد فركه : ((هل تريد أن تعمر بلدا أو تخرب مدينة أو تقتل ملكا فأنا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفـــة من ملكه فها أنت قد ملكته وصرت أنا خادمك فاطلب ما شئت فإني سميع لقولك

---

[72] -ألف ليلة وليلة 427/4

مطيع لأمرك ، وإذا احتجت إلى في أي وقت فأدعك الخاتم تجدني عنـــــدك))[73].
يتضح مما سبق أن المارد يخاطب الإحساس الداخلي لمعروف وما يحيك في نفسه من شعور بالسخط نحو مجتمعه .((أن تعمر بلد أو تخرب مدينة أو تقتل ملكا))[74] و فيه إشارة واضحة لسخط العامة على السلطة السياسية التي كانت ســـببا في عنائـــها وحرمانها. والعجيب أن كل من امتلك الخاتم يصل إلى مثل تلك السلطة الســحرية التي غالبا ما تكون بواسطة الجن ، كما في حكاية (جودر الصياد) الذي تــزوج بنت السلطان (شمس الدولة). وبعد وفاته تسلطن بعده .

يبقى أن نشير إلى أن القوة السحرية التي يحظى بها حامل الخاتم وتســـخير الجن تنتقل إلى غيره متى فقد الخاتم ((لا أقدر على مخالفة من ملكه))[75] ، حيث نجد المارد يوبخ (معروف الإسكافي) لما سلم خاتمه إلى غيره .((يا قليـــل الأدب من الذي يملك رصدا مثل هذا ، ويعطيه للناس يتفرجون عليه))[76] ، وفي حكايــة حسن الصائغ البصري حل القضيب السحري محل الخاتم فهو بمثابة عصى موســى التي كانت له فيها مآرب متعددة ، والقضيب من ملكه وضـــرب بــه الأرض خضعت له ملوكها وسخرت الجن جميعها لخدمته، ضرب به (حسن البصــري) الأرض فانشقت وخرجت له العفاريت ملبية النداء ، لمقاومة حمايته الجنية الملكـــة (نور الهدى) في مملكة الجن ، حيث انتصر عليها على الرغم من قوتها السحرية .

---

[73] - المصدر السابق 413/4.

[74] - المصدر السابق 413/4.

[75] - ألف ليلة وليلة 313/4

[76] - المصدر السابق 124/4

وفي الحكاية نفسها تظهر طاقية الإخفاء التي عندما لبسها (حسن البصري) لم يعد باستطاعة أحد أن يراه ، وأصبح في مقدوره أن يتحرك ، ويتصرف على هواه في أرض الجن دون رقيب ولا حسيب، حيث تمكن من فك أسر زوجته الجنية (شمسة) ، من أختها الملكة (نور الهدى).

وفي حكاية أبي محمد الكسلاني يماثل السيف الطاقية في الوظيفة السحرية حيث لم يتمكن (أبو محمد الكسلان) من اقتحام أسوار مدينة النحاس لاسترجاع زوجته إلا بعد أن سلمه أحد الجن الخيرين سيفا مطلسما يخفيه عن أعين الجن .

ولاشك أن الحكايتين تظهر عدم قدرة الإنسان على الوصول إلى أرض الجن إلا بمساعدة الخيرين منهم ، ولا يمكنه التحرك في عالمهم إلا متخفيا وبوسائل سحرية عجيبة وإلا كان من الهالكين، في هذا الشأن تتحدث العجوز (شواهي)، لـ (حسن البصري) بقولها ((والله ما كنت أنت وزوجتك وأولادك إلا من الهالكين ، والآن و قد نجوتم))[77] وهذا بفضل ما توفر (لحسن البصري) من وسائل سحرية مثل (طاقية الإخفاء).

تنبغي الإشارة أن هذه الوسائل السحرية هي من عمل الجن ، فالعجوز (شواهي) تذكر ((أعرف هذا القضيب السحري وأعرف صاحبه فإنه كان شيخي الذي علمني السحر وكان ساحرا عظيما))[78]. والسيف في حكاية (أبي محمد الكسلاني) من عمل الجن أيضا ، إذ كان العرب يعتقدون في الأساطير والملاحم الشعبية التي تشير أن للسيف خواصا سحرية خارقة مثل ((سيف سام بن نوح الذي يستطيع به أن يقتل أعتى ملوك الجن ، وأن يبطل به كل الأعمال

---

[77] – ألف ليلة وليلة 370/4

[78] – المصدر السابق 370/4

السحرية وأن يحطم كل التعاويذ والطلاسم))[79] ، ومما يتصل بالمعتقدات الشعبية الدالة على الرموز والطلاسم السحرية التي وجدت على بعض السيوف الإسلامية بغرض تحصين حاملها وتقوية تأثيرها منها عبارة "بدوح"* ذات المدلول السحري .

وهكذا يصبح في إمكانية الإنسان التغلب على قوى الجن الخارقة والتفوق عليها بوسائلها السحرية حتى ولو كانوا ملوكا أو من كبار السحرة . الملاحظ أن هذا ما يجسد كرامة الإنسان واستحقاقه للخلافة في الأرض وجدارته بأن يكون سيد الكائنات في هذا الوجود، والظاهر أن كل وسيلة من الوسائل السحرية تختص بوظيفة معينة واحدة فقط دون أن تتعداها لغيرها ، فطاقية الإخفاء ، والسيف السحري لا يحميان إلا صاحبهما الذي يحملهما دون غيره، والجراب السحري في حكاية (جودر الصياد) يستخرج منه ما يشاء من ألوان الطعام ولكنه لا يستطيع فعل غير ذلك.

---

[79] – فوزي العنتيل ، بين الفلكلور والثقافة الشعبية مصر 1978 ، ص 356 .

* ــ يعتقد أن تاجرا من أهل الحجاز اسمه (بدوح) كان معروفا بالصلاح والتقوى ، لا يتعرض أحد من اللصوص إلى بضائعه ورسائله، بعد وفاته أخذ التجار يضعون اسمه على بضاعتهم ورسائلهم فكانت تسلم من الأذى، فتحول في نظر العامة إلى واحد من الجن يلتمس العون منه بكتابة اسمه بالحروف تارة وبالأرقام تارة أخرى على فصوص الخواتم لتيمن منها، يلبث أن ذاع صيت هذه الكلمة باعتبارها طلسما يدفع الأذى ويجلب الخير، : ينظر دائرة المعارف الإسلامية : ترــ محمد ثابت الفندي والآخرون ــ تحقيق أحمد محمد شاكر ص 469-466.

البساط الســـــحري :

كان سّيدنا سليمان عليه السلام إذا أراد أن يركب الريح ينشر بساطه عليها ثم يجلس في وسطه و زمام الريح بين يديه و كان هذا ((البساط مـــن الســندس الأخضر أهداه الله إليه من الجنة لا يعلم طولهَ وعرضه إلا الله تعالى))[80] ، وله قدرة سحرية عجيبة على السير فوق الريح و في نقل الأشخاص إلى مسافات خياليـــة، وفي فترة زمنية ضئيلة جداً ، وهذا الانتقال غير مقيد بحـــدود جغرافيـــة أو قيـــود زمنية[81]، و لا يخضع في مهامه لغرض واحد كطاقية الإخفـــاء الـــتي لا تســـع إلا لشخص واحد ، في حين إن البساط يسخر لأشخاص عدة من الإنس أو الجـــن، كان سيدنا سليمان ينقل جنوده من الإنس والجن على البساط لمقاتلة المارقين عـــن طاعته وغير المقرين برسالته .

في حكاية علاء الدين أبي الشامات ، يظهر البساط في شكل سرير ســحري تحضره (حسن مريم) في أسلوب سحري مميز حيث تفرك أحـــد طـــرفي الخـــرزة السحرية التي ورثتها من جدتها، ثم تركب سريرها السحري هي وزوجها عـــلاء الدين وضرتها زبيدة العودية ، ثم قرأت ((بحق ما كتب على هذه الخـــرزة مـــن الأسماء والطلاسم وعلوم الأقلام أن ترتفع بنا يا سرير))[82] فارتفع بهـــم الســـرير لينقلهم في ومضة عين من أرض الروم إلى مصر . تتابع شهرزاد ســـرد ظـــاهرة الطيران السحري ، إذ تبرز هذه الظاهرة نفسها في حكاية الحكيم الفارسي الـــذي يطير بفرسه السحري الذي أهداه إلى الملك ، وكان لهذا الفرس قدرة خارقة على

---

[80] ـــ النويري : نهاية الإرب في فنون الأدب. 107/14.

[81] – قال الله تعالى :" فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ " سورة ص الآية رقم 36 .

[82] – ألف ليلة وليلة 10/3

التحليق والطيران ، براكبه إلى عنان السماء وأن يوصله إلى أي بلاد أراد .وكـــان لهذا الطيران شأن كبير في نسج عقدة الحكاية ،فلو لم يركبه الأمير الفارســـي لمـــا وصل إلى مدينة صنعاء ويغرم بابنة ملكها ، ولما امتطاه الحكيم الفارسي ثانية الـذي صنعه ، عند فراره بالأميرة انتقاما من الملك الفارسي الذي ســـجنه ، و لم يـــوف بوعده حيث لم يزوجه ابنته ، بذلك تعقدت الحكاية أكثر إذ وقعت الأميرة أســـيرة عند ملك الروم بامتطاء الأمير الفارسي الفرس السحري ثانية خلص زوجته مـــن أسر ملك الروم بعد أن قام بممارسات سحرية وهمية حلت العقـــدة ، وانتـــهت الحكاية نهاية سعيدة .

تفسر هذه الظواهر غير المألوفة للإنسان عادة بردها إلى أفعال الجن الذيـــن يتمتعون بقدرة خارقة تمكنهم من الظهور في أماكن متباينة وفي أشـــكال غريبـــة وعجيبة .

أشكـــــال الجـــــن :

للجن قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، يســـتعصي علـــى البـــاحث في حكايات شهرزاد الوقوف على الشكل الحقيقي للجن وهذا راجع إلى طبيعتـــهم المتنوعة في كل الحكايات ، حيث لا يتقيدون بشكل معين بل يظهرون في صـــور شتى إنسية وحيوانية أحيانا بطرق خارقة مخيفة سواء في شكل بشر أو حيوانات .

ففي حكاية حسن (الصائغ البصري) يصف أحد المردة أصناف الجن ((منا مـــن هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع ، فنحن جنود كثيرة مختلفـــة الصور و الأخلاق والألوان والوجوه والأبدان فمنا رؤوس بلا أبدان ومنا أبـــدان

بلا رؤوس))[83] ، وفي كل الأحوال يتصف الجن بقدرتهم على الظهور في صور مختلفة ، كما يظهرون في بعض الحكايات في صور بشرية ففي حكاية علاء الدين أبي الشامات ، تجلت جنية في صورة (زوبيدة العودية) التي بعد أن دفنت ، شقت الأرض وخرجت منها ، وفي حكاية التاجر والعفريت ، تظهر في صورة امرأة عادية تتزوج رجلا عاديا تاجرا ، ثم تفصح عن جنسها ((وأعلم أني جنية رأيتك فاحبك قلبي))[84] ، وفي حكاية الأمير الصياد والوزير تعترض جنية طريق الأمير في صفة جارية فإذا هي غولة تريد أن تفترسه هي وأولادها ، هي إذن صورة جديدة للجن أظهرها الحاكي الجن بأنهم من آكلي لحوم البشر، و في حكاية الصعلوك الثاني من حكاية الحمال والبنات، وذلك ما يجعل القارئ عاجزا عن التفريق بين عالم الجن وعالم الإنس . فعندما يدخل (حسن البصري) إلى أرض الجن في جزر الواق واق يجد النساء يتحجبن عن الرجال مثل مجتمع الإنس تماما .

والطريف في هذه الحكاية أن الجن يتحدثون عن أنفسهم كأنهم بشر سواء بسواء، إذ تصرح العجوز الجنية (شواهي) في حديثها لـ (حسن الصائغ البصري) ((ثم نخرج إلى أرض يقال لها أرض الجن فمن شدة صياح الجن تصم آذاننا وتغشى أبصارنا حتى لا نسمع ولا نرى ولا يمكن أن يلتفت أحد إلى خلفه فيهلك))[85] .

يتبين من سياق النص أن العجوز (شواهي) الجنية تخاطب (حسن) وكأنها إنسية تماما نلمس أيضا تطابقا واضحا في الشخصية بين عالمي الإنس والجن، وقد تظهر الجن أيضا في أشكال عجائبية خارقة حسب ما تتصوره العامة، ففي حكاية

---

[83] – ألف ليلة وليلة 4/ 376

[84] – ألف ليلة وليلة 13/1

[85] – المصدر السابق 4 /335 .

الصياد والعفريت يخرج الجن من القمقم في شكل دخان يجتمع ويتكاثف ليصير عفريتا رأسه في السحاب ورجله في التراب ، فيخاف الصياد وترتعد فرائسه ، ثم يكشف الجن عن حاله ((أنا صخر الجني وقد عصيت سليمان بن داود)) [86] .

وغني عن البيان أن الذاكرة الشعبية تحفظ صورا عديدة عن تقمص الجن في مختلف المظاهر والأشكال، غير أن شهرزاد لا تقصر تميزهم في الأشكال والأنواع فقط أو تحصرهم في أخيار وأشرار ، بل تجعلهم يخضعون لنظام اجتماعي متميز .

التنظيم الاجتماعي للجن :

إن الجن في ألف ليلة و ليلة يخضعون لتنظيم اجتماعي متميز يتفاوتون فيه سلطة ومقاما ، أعلاهم قدرا ملك الملوك وهو المطاع الأول بين أفراد جنسه وله يخضع سائر أفراد الجن ، إذا أمرهم وجدهم على أهبتهم حاضرين لتنفيذ أوامره ، كما جاء في حكاية (الجن داهش والشيخ عبد الصمد) أمر سيدنا سليمان عليه السلام وزيره (الدمرياط) ملك الجن أن يجمع المردة من كل مكان فجمع له ما يقاتل به أحد ملوك البحر المتمرد على طاعته.

غير أنه ينبغي الإشارة أن هؤلاء الملوك طائعهم وشقيهم خاضعون لسلطة سيدنا سليمان و سيطرته . فقد منحه الله القدرة العجيبة حتى على مردهم وجبابرهم فجعلهم كلهم طائعين له يعملون بين يديه ما يوكلهم به من الأعمال الخارقة .

---

[86] – ألف ليلة وليلة 17/1

فالطائعون المؤمنون يحاربون الجن الكفرة ، يصادف (بلوقيا) في الحكاية المنسوبة إليه ، فرسانا يقتتلون فيما بينهم ، فتوجس منهم خيفة فسأل عن حالهم فذكر له أحدهم ((نحن مسكننا الأرض البيضاء وفي كل عام يأمرنا الله تعالى أن تأتي هذه الأرض ونغزو الجن الكافرين ... وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس ولنا ملك يقال له الملك صخر)) [87]هؤلاء الجن هم الطائعون لسيدنا سليمان فقد سلطهم على بني جنسهم أجمعين من مردة وعفاريت وغيلان وغيرهم حيث أوقع على المارقين عن طاعته أشد صنوف العذاب ، لهذا نلفي المأثور الشعبي يورد بأن سليمان عليه السلام حارب الجن الكافرة وحكم على من أدانه منها بالسجن إلى نهاية الكون))[88]. إذا ما تقاعسوا عن تنفيذ أوامره ، والجن في عمومهم مسخرة لسيدنا سليمان لعمارة الأرض ، ولم يسخرهم لشر أو لسبيل شر ، والعصاة صفدهم وحبسهم في قماقم من نحاس وختمها بالرصاص ورماها في البحر عقابا لهم .

يخبر الجن (صخر) في حكاية الصياد والعفريت ، الصياد عن نفسه وعن سبب وضعه في القمقم بقوله :((فلما رآني سليمان استعاذ مني وعرض علي الإيمان والدخول تحت طاعته فأبيت، فطلب هذا القمقم، وحبسني فيه ، وختم علي بالرصاص وطبعه بالاسم الأعظم وأمر الجن فاحتملوني ورموني في البحر))[89].

وواضح أن سيدنا سليمان كان يعاقب الجن بعقوبات مختلفة ، غير أن الحاكي في الليالي استأثر بتصفيد الجن العصاة في القماقم ورميهم في البحار المجهولة.

---

[87] - ألف ليلة وليلة 3 / 299

[88] ـــ فاروق خورشيد : عالم الأدب الشعبي العجيب ص 56.

[89] - ألف ليلة وليلة 1 / 17

إن الاسم الأعظم المقصود في النص هو لا إلـــه إلا الله محمـــد رســـول الله المنقوشة على خاتم سليمان وهو طلسم سحري ، وغالبا ما تقسم بـــه العفـــاريت المؤمنة حيث تقسم الجنية لأخت الصبيتين المسحورتين ((وحق النقش الذي علـــى خاتم سليمان إن لم تضربي كل واحدة منهما في كل يوم ثلاثمائة سوط لأجعلنـــك مثلهما)) [90]. و العصاة من الجن يقيدهم ذكر الله وهم يعرفون هذا السر الـــذي يخشونه أشد الخشية .

والخلاصة أن الجن يتمتعون بقوى خارقة ، يطبع علاقتها الصراع العنيف مع الإنسان الذي يخضعها لإرادته بوسائل سحرية ليؤكد ويثبت كرامته واســـتحقاقه للخلافة في الأرض وجدارته بأن يكون سيد الكائنات في هذا الوجود، فتمكن مـــن السيطرة على تلك القوى الخفية لخوارقها وعجائبها وإن تسلحت بقوى ســـحرية مهيبة ، أو تقمصت صور حيوانية مخيفة

3 – الحيوان و السحر :

ارتبطت حياة الإنسان بحياة الحيوانات منذ القدم ، فقـــد اتخذهـــا معظـــم الثقافات الإنسانية رمزا لتعبر بها عن مقدساتها و همومها و طموحها وأحلامـــها، وآمالها و لم تشذ الشعوب العربية عن هذا الوضع. فقد قـــدس عـــرب الجاهليـــة الحيوانات فعبدوها و عظموها بل أن بعض القبائل العربية حملت أسمـــاء حيوانيـــة ((كلب ، حمار ، حجر ، جعل ، قرد ، على سبيل التفاؤل بها)) [91] ، فكان الرجل

---

[90] – ألف ليلة وليلة 1 / 76

[91] – أبو عثمان الجاحظ : الحيوان ، تحقيق محمد عبد السلام 324/1.

إذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير و الفأل فإن سمع إنسانا يقول حجرا سمي ابنه به و تفاءل فيه الشدة و الصلابة والبقاء و الصبر و لا زالت هذه الطوطمية الحيوانية مستمرة لحد الآن إذ ((توجد قبائل عربية تحمل أسماء حيوانية كقبيلة الحصنة في البادية السورية)) [92] و قد عبر العرب في أشعارهم وأساطيرهم وحكاياتهم الشعبية بالحيوانات فمنحوا كل حيوان صفات خاصة تميزه عن غيره إيجابا أو سلبا تبعا لمقتضيات الحاجة . وما لا زل الحديث في الثقافة الشعبية مرتبطا بها، فإذا ذم أحد صاحبه، وصفه بأحد الأسماء الحيوانية مثل كلب خنزير ، حمار.

و قد جاءت بعض أساطير الحيوانات لتفسير بعض غوامض الكون وأسراره[93]، وبخاصة تلك الحيوانات التي اكتسبت صفة القداسة .

حافظت الديانات السماوية على العلاقات التي أقامها الإنسان مع الحيوان وطبعتها بشيء من الحيوية و الرأفة التي تتجلى من خلال إدراك النبي سليمان عليه السلام للغة الحيوان و منطق الطير و سيطرته على الجن التي لها القدرة على التشكل في صور حيوانية عجيبة . و أضفت نبوة موسى عليه السلام على الأفعى صبغة خاصة من خلال عصاه السحرية التي تناقلتها الأساطير و الحكايات الشعبية فتجلت بعض أعاجيبها في ألف ليلة و ليلة ، حيث جاءت على لسان شهرزاد متباينة الأصناف و الوظائف من حكاية لأخرى ، و من الحيوانات الأكثر ورودا:

---

92 - صلاح الدين شروخ " نحن و الطوطمية ". مجلة الفيصل .عدد 117 . 1986 . ص 31

93 ـ ينظر على سبيل المثال أسطورة الليل و النهار في : فريدريتش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية نشأتها مناهج دراستها فنيتها ـ ترجمة نبيلة ابراهيم ـ دار القلم . القلم بيروت ط 1 1973.

الحيـــــــة :

في حكاية أبي محمد الكسلان تظهر حية سوداء تطارد حية بيضاء، فنـاصر (أبي محمد) الضعيفة و قتل الحية السوداء ، مكث مدة فأقبل عليه أخوها في صفة إنسان و خاطبه ((أنا أخو الحية البيضاء التي قتلت عدوها فإن جميلك قد وصـــل إلينا و نحن قوم من الجن المؤمنين)) [94].

و واضح أن الجن المؤمن يظهر في شخصية الأفعى البيضاء ، حيـــث تذكـــر إحدى الأساطير ((أن الأفعى أول ما ظـــهرت علـــى وجـــه الأرض ظـــهرت بيضاء)) [95]، المعروف أن اللون الأبيض هو رمز الطهارة و علامة على الاســـتقامة والعدالة و إشعاع الخير ، و سبق للفيثاغوريين ((أنهم أوجبوا على أنفسهم ارتـداء الأبيض و دفن موتاهم في أكفان بيضاء)) [96]. أما اللون الأسود الذي تقمصتـــه الحية السوداء يرمز إلى الجن الكافر أو الشرير ، لأن اللون الأسود ((أجمع للقـــوى الشيطانية عن غيره وفيه قوة الحرارة)) [97]، ويعتقد بعض الناس أن الجـــن الـــذي يتجسد في هذه الصورة ((يعتبر من أخطر أنواع الجن بحيث إن هو مس الإنســـان بضر ، فلا كاشف له إلا بذبح جدي أسود)) [98]. وهكـــذا يتضـــح أن للألـــوان دلالات رمزية عميقة في عالم المعتقدات الغيبية. فإذا كان اللون الأبيض يرمـــز إلى الملائكة ، فإن اللون الأسود يرمز إلى الجن ، وهو لون الحزن والحداد في الثقافـــات الغربية.

---

[94] – ألف ليلة و ليلة 3 / 67 .

[95] – مجدي إبراهيم – الأفاعي حقائق و أساطير مجلة الفيصل ع 383 مايو 2000 ص 71 .

[96] – فليب سيرنج : الرموز في الفن ـــ الأديان الحياة ـــ ترجمة عبد الهادي عباس ـــ دمشق ص 428 .

[97] ـــ سليمان الأشقر : عالم الجن والشياطين قصر الكتاب البليدة ص 25.

[98] ـــ كاملي بلحاج : أصول المعتقدات الشعبية ومظاهره في منطقة بلعباس ص 78.

في حكاية بلوقيا يظهر الثعبان رمزا للشر ، إذ تخبره الملائكة ((أنـــه ظـــهر بالمشرق ثعبان عظيم خرب ألف مدينة و أكل أهلها و قد أمرنا الله أن نروح إليـــه ونمسكه و نرميه في جهنم))[99] .يبدو لنا من خلال ما سبق أن الثعبان مفطور على الشر و مجبول على إلحاق الأذى بالمخلوقات و تبعا لذلك ((فإن المسيحية اعتـبرت الثعبان رمزا للشر فنقود قسطنطين الأول تحمل على وجهها راية صليـــب طغـــراء المسيح التي تخترق ساريتها ثعبانا))[100] .

وعلى خلاف الأمم السالفة التي تطيرت من الزواحف ، واعتبرها مصدر شر فإن شهرزاد تصورها أحيانا مصدر خير و سعادة ، إذ تبوأت الحية مكانهـــا مـــن المعتقدات لتصبح مادة من مواد المعالجة السحرية، ففي حكاية حاسب كريم يصبح لحم الحية الوسيلة الوحيدة لشفاء الملك (كرزدان)، و في حكاية ســـيف الملـــوك وبديعة الجمال يصف سيدنا سليمان للوزير فارس و ملكه أن يطعما زوجتيـــهما لحم الحية لتنجب لهما ما اشتهيا من الولد ، كما سيأتي بشيء من التفصيـــل في الفصل الموالي.

في حكاية بلوقيا و هو ابن ملك من ملوك بني إسرائيل بمصر يعـــثر علـــى كتاب في خزانة بعد وفاة أبيه، يشمل صفات محمد صلى الله عليه وسلم فتعلـــق قلبه بمحبته و لقائه ، ترك ملك أبيه وخرج تائها يبحث عن السر الذي يصلـــه إلى غرضه ، فاجتمع بـــ (عفان) الرجل العالم بعلم الروحانيات والكيمياء وقـــراءة الكتب السماوية المنزلة،فروى له قصته فقال عفان ((اجمعني بملكة الحيات و أنـــا أجمعك على محمد صلى الله عليه و سلم ، فإذا أخذناها تدلنا على ذلك العشـــب

---

[99] - ألف ليلة و ليلة 3 / 311.

[100] ـــ فيليب سيرغ : الرموز في الفن ـــ الأديان ـــ الحياة ص 126.

ونعدي السبعة أبحر ونصل إلى مقصودنا و بعد ذلك ندخل إلى بحـــــر الظلمـــات فنشرب من ماء الحياة فيمهلنا الله إلى آخر الزمن))[101] .

يتخذ النص الحية رمزا للمعرفة حيث لم يتمكن (عفان) من التعـــرف إلى النبتة السحرية و العبور إلى قبر سيدنا سليمان إلا بإحضار الحية التي اعتـبرت الأداة السحرية الفاعلة ، على الرغم من المعرفة الواســـعة لعفـــان بعلـــم الروحانيـــات والممارسات السحرية ، فتحايل عفان و بلوقيا لصيد الحية من أجل أن تدلهما علـى الشجرة السحرية ليأخذا منها نبتة ، يصنعان من عصيرها دهنا لأقدامهما حـــــتى يستطيعا السير على البحار السبعة للوصول إلى قبر سيدنا ســـليمان. و بوصـــول (عفان) إلى القبر مد يده إلى جثمان النبي سليمان فأحرقته الحية بسحرها ، فتمنـــع الحية بلوقيا من الوصول إلى ماء الحياة ، وبموت (عفان) توقف (بلوقيا) عـــــن البحث عن الماء السحري .

لازمت مشكلة الموت و البحث عن الخلود النفس البشرية بشكل دائـــــم؛ فمضمون حكاية (حاسب كريم الدين) و علاقتها بالحية تظهر بأسلوب مغـــاير في أسطورة جلجامش البابلية التي ترجع إلى النصف الأول من الألف الثانيـــــة قبـــل الميلاد، و هي من أبرز أساطير الشرق القديم ، التي عالجت مشكلة الخلود بشـــيء من الفلسفة والسحر .

يتلخص مضمون الأسطورة في فقدان جلجامش لصديقه أنكيدو الذي كـــان يرافقه في مغامراته ، و بموت صديقه تتأكد حتمية الموت عند جلجامش ، فـــأخذ يبحث عن سر الحياة الخالدة و بعد مغامرات شاقة اعترضته فيها عقبات وموانـــع

---

[101] – ألف ليلة و ليلة 3 / 288 .

اهتدى إلى حكيم دله على نبتة الخلود السحرية التي تنمو في أعماق البحار فغطس جلجامش و قطفها ، و في أثناء عودته أخذته سنة من النوم فاختلست الحية منه النبتة السحرية فأكلتها ففازت بالخلود .

و تمثل خلودها في تغييرها لجلدها الذي يجدد لها الحياة ،وفي هذا الغرض يورد الجاحظ خبرا في كتابه الحيوان مفاده ((أن الحية لا تموت حتف أنفها وأنها تموت بعارض يعرض لها))[102] ، حيث لا تموت من تلقاء نفسها ولعل هذا يعد عقابا لها وعلى الرغم من هذا الصراع الأسطوري غير المتكافئ على الخلود بين الحية والإنسان تمكن هذا الأخير من تسخير هذا المخلوق (الحية) – الضعيف بذاته القوي بأثره – ، لأغراضه السحرية.

يتجلى ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام في صراعه مع سحرة فرعون حيث انتصر عليهم وأبطل كيد سحرهم بعصاه التي تحولت إلى حية ، قال تعالى (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)[103] ، تزايد حجم هذه الحية حتى صارت ثعبانا في سرعة حركة الجن قال تعالى ((تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ))[104] ، فكان الجن أول حالها والثعبان مآلها . تضور هذا الثعبان جوعا فمر بشجرة فأكلها وبصخرة فابتلعها ثم بعد ذلك تلقف حيات سحرة فرعون.

تجدر الإشارة إلى أن السارد في الليالي فرق بين الحية والثعبان من حيث النوع والوظيفة ، فالحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى ، في حين أن الثعبان لم يواجه الحيات التي صنعها سحرة فرعون إلا بعد أن أكل من الشجرة . والشيء

---

[102] – أبو عثمان الجاحظ : الحيوان تحقيق عبد السلام هارون 118/4.

[103] – سورة طه الآية رقم 20 .

[104] – سورة القصص الآية 31 .

نفسه يقوم به الضب الذي لا يقدم على مقاتلة الأفعى حتى يضع في فيه نبتة تدعى في الجنوب الجزائري (الرمث).

طائر العقاب :

إذا كانت الحية من الهوام المخيفة للإنسان فإنها شديدة الخوف من العقاب بوصفه أقوى الطيور ، فهو رمز القوة والخير حيث يحلق عاليا والحية لا تبرح الأرض مجسدة الصراع بين الروح والمادة وبين الخير والشر، ففي أسطورة إيتانا الملك الذي سبق العصر التاريخي ((يفترس العقاب صغار الأفاعي فتتقدم الحية بالشكوى إلى الشمس إله العدالة الذي ينصحها بأن تختبئ في بطن جاموس حتى تستطيع مهاجمة الجاموسي العقاب الذي ينبغي أكل لحم الجاموس ، وقد قطعت جناح العقاب ثم مزقته))[105]، لكن الطريف أن العقاب عندما يصطاد الحية فإنه (يأكلها إلا رأسها) شأنه شأن الإنسان، حيث جاء في حكاية سيف الملوك وبديعة الجمال ، أن النبي (سليمان وصف لملك مصر (عاصم) ووزيره (فارس) لحم الحية دواء، لحمل زوجة الملك فأمره برمي قدر شبر من رأسها قبل طبخها، كما سيأتي بشيء من التفصيل في الفصل الثاني.

إذا كان الله قد أودع في الحية ما تجدد به شبابها بسلخ جلدها ، فإنه من طريف ما يذكر في هذا الشان إن ((طيور العقاب إذا هرمت وثقل جناحها وأظلم بصرها التمست غديرا ، فإذا وجدته حلقت طائرة في الهواء ثم تقع من حالق في ذلك الغدير فتنغمس فيه مراراً فيصح جسمها ويقوى بصرها ويعود ناشئا

---

105 - فيليب سيرنج : الرموز في الفن ــ الأديان الحياة ــ ترجمة عبد الهادي عباس ــ دمشق ص 182 .

إلى حالته الأولي))[106] ، بذلك يتساوى طائر العقاب والحية في تجديد شـــبابهما وفي كونهما رمز شؤم وشر في المخيلة الشعبية.

غير أن السارد جعل لطائر العقاب قسطا في الممارسات الشعبية في حكايـة شهرزاد على غرار ما هو ظاهر في حكاية أبي محمد الكسلان ، إذ أوضحت لـــه زوجته التي اختطفها مارد إلى أرض الجن عن سر تفوقه .((أعلمـــني أن في هـــذه المدينة طلسما إن شاء أهلك جميع من في المدينة أهلكهم به ومهما أمر العفـــاريت فإنه يمتثلون أمره، وذلك الطلسم في صورة العقاب))[107] . فالعفريت كي يضمـــن لنفسه سر التفوق على بني جنسه وليحافظ على أسيرته الإنسية التي أحبـــها محبـــة عظيمة. من أجل ذلك، وضع الطلسم السحري في صورة طائر العقاب، لأنه رمـز القوة والبطش عند الأمم قديمها وحديثها انسها وجانها .

تنبغي الإشارة إلى تلك المخلوقات عندما تعجز عن مواجهة مصاعب الحيـاة ومواجهة الأخطار المحدقة بها تلجأ إلى الطيور والحيوانات لتجعل منـــها طلاســـم وطقوس سحرية من أجل أن تحفظ أسرارها وقوتها وتدفع بها أضرارهـــا وتخفـــي روحها . يتجلى ذلك في حكاية سيف الملوك ، حيث يخبر العفريت (حاتم) عشيقته الإنسية دولت (خاتون) التي اختطفها وأسكنها في سرداب تحت سطح الأرض عن سر روحه .((أخبرني المنجون أن هلاك روحي يكون على يد واحد من ملـــوك الإنس ، فأخذت روحي، ووضعتها في حوصلة عصفور، وحبست العصفـــور في علبة ووضعتها داخل سبع علب في جانب هذا البحر المحيط))[108] .

---

[106] – النويري نهاية الأرب في فنون الأدب 9/ 112.

[107] – ألف ليلة وليلة 3 / 70 .

[108] – ألف ليلة وليلة 4 / 227

يبدو أن السارد يخالف الذهنية الشعبية التي ترى في تفوق الجن على الإنس لما يتمتع به من قوة خارقة ، ويظهره مخلوقا ضعيفا يخاف على حياته من الإنس فيخفيها في عصفور مطلسم ، و لم يتركه حرا طليقا مخافة أن يموت فتزهق روحه معه بل وضعه في أعماق المحيط حتى لا تصل إليه يد الإنسان ، غير أن هذا الأخير أبطل مفعول الطلسم بخاتم سحري وأخرج العصفور وخنقه فوقع الجني جثة هامدة . ومن طريف ما تذكره شهرزاد في حكايتها أن الجن يسخر الطيور كطلاسم سحرية يحفظ بها قوته ويحمي نفسه من الإنسان فإن هذا الأخير الذي يستعين بالقوى السحرية نفسها ليحمي نفسة من أذى الجن وشره.

يتجلى ذلك في حكاية (أبي محمد الكسلان)، حيث كان مارد يتربص بصبية يريد اختطافها ،وكان يمنعه طلسم وضعه أبوها في ديك أبيض ((قد وضعت هذا الطلسم خوفا على ابنتي من هذا الملعون))[109] ، غير أن العفريت استغل سذاجة الكسلان وزين له ذبح الديك فسهل عليه اختطاف الصبية ، ولو بقي ذلك الطلسم قائما لما تمكن العفريت من الوصول إلى الصبية واختطافها . وتبعا لذلك يمكن اعتبار هذه الطلاسم نوعا من السحر الأسود وهو اتحاد روح بجسم كما عرفه ابن خلدون [110] .

يعقد هذا الطلسم قصد دفع الأذى أو جلب النفع ، ومن السهل إتلاف هذه الطلاسم أو إبطال مفعولها بما يناسبها من الوسائل السحرية. وقد كانت الأمم تلجأ إلى هذا النوع من السحر. فقدماء المصريين كانوا يصنعون طلسما في صورة

---

[109] – ألف ليلة وليلة 3 / 66.

[110] ــ ينظر : عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ــ بيروت ــ 1983 – 932/2.

صنم، ويطلى جميعه بدم دجاجة ليس فيها إشارة ، تذبح عنده وذلك قصد حراسة بيوتهم وأموالهم[111].

وهذا الطقس السحري كثيرا ما يلجأ إليه المشعوذون ظنا منهم أن ذلك يمكنهم من استرضاء الجن والتحكم فيهم، قصد تسخيرهم لأغراض سحرية، لكن شهرزاد لم تقصر الطيور في حكايتها لهذا الغرض، بل غالبا ما وظفتها في أشكال عجائبية لأغراض فنية بغية إطالة الحكاية أو إعطائها نسقا جديدا بتغيير أدوار الشخصيات الحكائية التي تظهر في الحيوانات المستأنسة .

الكلب :

و هو من الحيوانات غير الطاهرة في الشريعة الإسلامية[112] ، وهو يرمز إلى الشيء التافه غير المفيد الخالي من القيمة قال تعالى ((فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ، ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الذَّينَ كَذَّبوا بآياتنا))[113].

تعد الذهنية الشعبية الكلب من مطايا الجن ، وكثيرا ما يتقمص شخصيتها، حيث تنبه العجائز الأطفال بعدم ضرب الكلاب وبخاصة في الليل، ففي ((الأساطير الأيرلندية يعرف الكلب بالشيطان بل بمفترس الجيف))[114]، بذلك يظهر من أحط

---

111 – ينظر : أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ص 278.

112 ــ قال رسول الله : ((طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، إحداهن بالتراب)) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري ــ إخراج وتصحيح محي الدين الخطيب دار المعرفة بيروت 1379هـ. ص7.

113 – سورة الأعراف الآية 176

114 – فيليبس سيرنج : الرموز في الفن ــ الأديان الحياة ــ ترجمة عبد الهادي عباس ــ دار دمشق 1992 ص 75.

الحيوانات قيمة عند الإنسان ، يتجلى ذلك في حكاية التاجر والعفريت ، حيث تمسخ المرأة زوجها التاجر في صورة كلب عندما اكتشف خيانتها مع عبد أسود بغية طرده من البيت ، يجوب الشوارع يلتقط عظام الحيوانات. وفي حكاية الحمالى والبنات تنتقم الجنية لزوجها الإنسي التاجر لما هم أخواه بقتله حسدا على نمو تجارته وازدهارها وعلى زواجه منها ، في صورة كلبين سوداوين.

يبرز من خلال الموقفين إخلاص المرأة الجنية لزوجها ، ولو كان من غير بني جنسها عكس المرأة الإنسية ، كما تبدو عقوبة الجنية أشد، لأنها سحرت غريميها في صورة كلب أسود ، هذا النوع من الكلاب أقل صبرا على الحر والبرد عن غيره من الحيوانات التي تعيش في أعماق البحار والمحيطات.

السمك :

ارتبط السمك منذ القدم بمسيرة الإنسان، فقد كان مصدر رزقه وسعادته عبر التاريخ ومجال تفاؤله وتشاؤمه ((ففي شمال إفريقيا عندما تدخل العروس بيتها تصرخ إحدى النسوة قائلة قولوا يا حوّات ، و في سوريا يقال مثل الحوت يا لطيف)) [115]، وفي المناطق القريبة من المياه يظهر على شكل طوطم في رسوم متناقلة إما وحيدا وإما مطورا حيث يكون له رأس بشري وجسم سمكة ، وقد يستخدم ((طقسا حام ضد العين الشريرة حيث يرسم الحوت مع كفين بشريين على مواقد البخور التونسية والجزائرية)) [116].

---

[115] - صلاح الدين شروخ: نحن والطوطمية مجلة الفيصل ع 117 ديسمبر 1986 ص 31

[116] - المرجع السابق ص 31.

ويوظف السارد السمك في المتن الحكائي رمزا للخير والسعادة ويظهر ذلك أكثر في حكاية جودر الصياد حين ينتقل إليه الساحر الشيخ عبد الصمد من المغرب إلى مصر ليصطاد له سمكتين لونها أحمر ويستخدمها طقسا سحريا لفك طلسم كنز الشمردل بأرض المغرب ، وبذلك تفيض عليهما الأموال ، ويصير جودر من أهل المال الجاه. و في السياق ذاته تقترن صورة السمك مع صورة الكلب في طلسم سحري في حكاية مزين بغداد ، حيث إن الخياط استضاف صديقه الأحدب، لوجبة سمك فأخذت زوجته قطعة سمك وأدخلتها في فمه وسدته فمات. فبلغ الخبر ملك الصين فأمر بإحضار مزين بغداد فقال ((يا ملك وحق نعمتك أن الأحدب فيه الروح، فأخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن بها رقبة الأحدب وغطاها حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حدبه ونزل بهما في حلقه فالتقطتا قطعة السمك بعظمها ، ثم نهض الأحدب على قدميه))[117]. ومن ثم كان السمك كان سببا في موت الأحدب وفي إحيائه وكأن السمك كان رمزا لموته الأحدب في مسيرته نحو البعث .

قد تكون لهذه الحكاية تقاطعا مع قصة سيدنا يونس عليه السلام إذ رمى نفسه في البحر غضبا من قومه على عدم استجابتهم دعوته ، فابتلعه حوتا عظيما قال الله تعالى ((فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ))[118].

وفي ذلك يذكر النويري أن النبي يونس عليه السلام مكث في بطن الحوت أربعين يوما ، ثم أمره الله أن يقذفه من بطنه و يرجعه إلى المكان الذي ابتلعه فيه[119] حتى لا يتيه و تسهل عليه العودة إلى قومه في مكانهم الأصلي .

---

[117] - ألف ليلة وليلة 1 /181.

[118] - سورة الصافات الآية 142

و نخلص في الأخير إلى أن السحر كأسلوب في القول و الممارسة كان من الظواهر البارزة في ألف ليلة و ليلة لأنه يكاد يطغى على جميع الشخصيات و الحكايات ، و قد اتخذته شهرزاد وسيلة تعبيرية و مخرجا من الأحداث المتأزمة (حل للعقدة) في الكشف عن المواقف التي تعترض شخصياتها التي اتسمت بطابع أسطوري عجائبي .و لم يكن السحر محصورا فيما أشرنا إليه سالفا، و إنما كانت له مهام ووظائف تمتاز بالتنوع و الجدة ، و هو ما سنفصل فيه القول لاحقا.

---

[119] – ينظر نهاية الأرب في فنون الأدب 14 / 187.

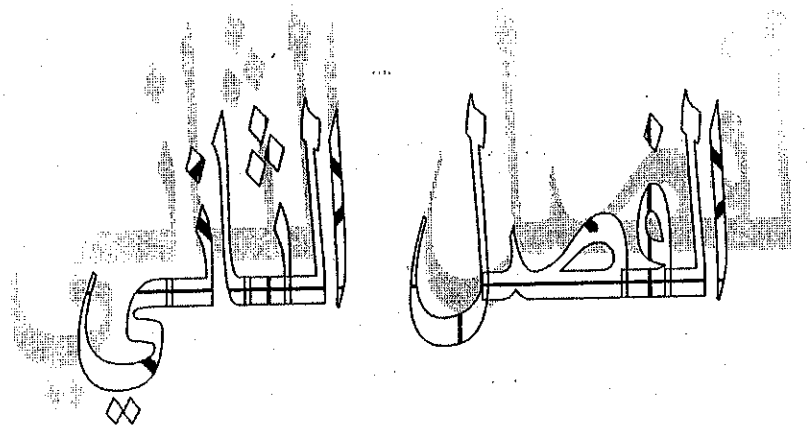
الفصل الثاني

الوظائف السحرية

1 ــ طقوس الحب والزواج

2 ــ زواج الجـــــان بالإنس

3 ــ زواج الإنس بالجنيات

4 ــ استكناه الغيب

5 ــ الوظيفة العلاجية

6 – البحث عن الكنوز

1 – طقوس الحب والزواج :

إن الزواج رباط فطري وطبيعي يهدف إلى استبقاء البشرية وحمايتها من الانحلال والاضمحلال، و قد أعدته المجتمعات القديمة من المقدسات التي يجب الحفاظ عليها [120]. و يرى واسترماك في هذا الشأن ((إن الإنسان قد عاش دائما فيما يمكن أن يوصف بأنه في حالة زواج)) [121] وصحته تتوقف على الرضا والثبوت، والاختيار فكان له بذلك أفضلية الانتقاء الذي كان يتم بالسبي والبيع والشراء وأخيراً من خلال الحب المتبادل كما سيتضح لنا بعد قليل من قصص ألف ليلة وليلة.

ينشأ هذا الحب في الليالي عن النظرة الأولى التي تعقبها ألف حسرة وعقبة والتي لا يمكن تجاوزها إلا بالطقوس والممارسات السحرية كالاستعانة بالجن والعفاريت و التمائم . جاء في حكاية (قمر الزمان) والملكة (بدور)، أن الأمير الفارسي " قمر الزمان " كان يرفض الزواج كما ترفضه الأميرة (بدور) بنت ملك الصين، وكان الاثنان على قدر فائق من الحسن والجمال ، و يبدو أن سبب رفضهما للزواج كان نتيجة اعتقادات و تصورات خاطئة ، فالأمير (قمر الزمان) يعتقد أن كل النساء ماكرات وخائنات على شاكلة زوجة الملك (شهريار)، أما الأميرة (بدور) فقد ذكرت سبب رفضها للزواج لأبيها في قولها : ((أنا السيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلا يحكم عليا) [122].

---

[120] ـــ ينظر : س.كريمر : طقوس الجنس المقدس عند السومريين ترجمة لهاد خياطة دار علاء الدين دمشق ط2 1993 ص77

[121] ـــ فوزي العنتيل بين الفلكلور والثقافة الشعبية ـــ مصر ـــ 1978 ص 373.

[122] ـــ ألف ليلة وليلة 2/ 233.

الملاحظ في هذه الحكاية أن الجن تقوم بدور هام في الجمع بين هذين الشخصين وهما نائمان ، حيث يتم إيقاظهما بالتناوب فيعجب كل منهما بالآخر أشد الإعجاب، و تتحرك مشاعر الحب عند كليهما ، فيتعلق ببعضهما ببعض وتهفو نفساهما إلى الزواج .

بهذا الطقس الذي تم بواسطة الجن انحلت عقدة (قمر الزمان) و الأميرة (بدور) بنت ملك الصين،و تم زواجهما كما كان يتمنى والداهما.

يتكرر هذا الطقس السحري الذي تقوم فيه الجن بدور الوسيط بين العازفين عن الزواج في حكاية الوزيرين (شمس الدين وأخيه نور الدين) اللذين فرقتهما الأقدار ، حيث تتدخل الجنية والعفريت لتحقيق حلم الأخوين بنقل (حسن بدر الدين بن نور الدين) من البصرة إلى مصر ليمكناه من الزواج الموعود من (ست الحسن) الفائقة الجمال ابنة عمه الوزير (شمس الدين) والتي أراد الملك تزويجها لأحقر خادم (السائس الأحدب)[123] احتقارا لها ولأبيها الذي رفض تزويجها إياه متذرعا بحديثه : ((إني حالف لا أزوج ابنتي إلا لابن أخي من يوم ولدتها أمها))[124].و بعد أن جمع العفريت بين حسن وابنة عمه ، عمد إلى تجميد حركة (السائس الأحدب) بطقوس سحرية ، وخاطب (حسن) ((أعلم أنّي قد جئتك، وأنا أريد أن أعمل معك شيئاً لله))[125] . وشجعه على اقتحام مخدع العروس وإنفاق الأموال على المغنيات والوصيفات بشكل ملفت للأنظار دون أن يخشى فراغ جيبه لأن العفريت سيمده بهذه الأموال.

---

[123] ــ السائس : هو رجل يلبس صديريا وسروالا ، ويتحزم على السروال ويمسك بيده عصى وكان يتقدم عربات الأغنياء، وقد يتعهد الخيول التي تسير بهم ، ويتخذنه السيدات أمينا على الأسرار ــ ينظر أحمد أمين : قاموس العادت والتقاليد المصرية ص 227.

[124] ــ ألف ليلة وليلة 97/1.

[125] ــ ألف ليلة وليلة 98/1.

يتبين من هاتين الحكايتين دور الجن في خدمة الإنس ، فهم مسخرون لحل الأزمات وتحقيق المآرب الإنسية العالقة. حيث تمكنت الجنية والعفريت بقواهما السحرية من طي الزمن واختصار المسافات والجمع بين البطلين في اللاواقع بطريقة عجيبة كان من نتاجها أن تعلق كل منها بالآخر (قمر الزمان وبدور) فنمت هذه العلاقة، وانتهت بالزواج بعد مغامرات ورحلات شاقة مليئة بالخوارق والطقوس السحرية.

و تنتهي الحكايتان نهاية سعيدة مثل معظم القصص الشعبي الذي ينشد البطولة و الانتصار. فالوزير (شمس الدين) يرفض مصاهرة الملك، ويحرس على تزويج ابنته من ابن عمها، ليكرس بذلك نظام القبيلة والعشيرة في نظام هرمي للحفاظ على نقاء الدم ولزيادة العائلة سلطة وقوة في بنيتها الاجتماعية لأن الفرد في هذا المجتمع ((يضيع إذا انقطع عن العائلة أو العشيرة أو الطائفة الدينية فالدولة بالنسبة إليه لا تستطيع الحلول كلياً محل هذه البنى الأولية التي توفر له الحماية))[126]، لأن الانتماء في هذه المجتمعات هو انتماء قبلي قبل أن يكون انتماء إنسانيا أو قومياً.

و الملاحظ في ألف ليلة و ليلة أن الجن لا تقتصر على فعل الخير فقط، بل قد تتعداه إلى فعل الشر كما في حكاية ((أبي محمد الكسلان))، حيث تتسبب الجن في خلق أزمة يتحمل البطل عواقبها بعد أن صار وسيلة في يد الجن يحقق بها مآربه الخاصة.

يسحر العفريت نفسه قرداً لينال غرضه، ثم يكشف عن حاله لأبي محمد الكسلان. ((إني ما رد من الجن جئتك بسبب ضعف حالك وأنت اليوم لا تدري

---

[126] ــ محمد عبد الرحمن يونس ــ الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة بيروت ط ١ 1998/ ص 172.

قدر مالك. وقد وقعت لي عندك حاجة وهي خير لك ، فقال الكسلان : وما هي؟ قال: المارد أريد أن أزوجك بصبية مثل البدر))[127]. فيستجيب (الكسلان) ويتزوج بالصبية. ويتحايل عليه العفريت بفك طلسم وضعه أبو الفتاة (الشريف) لحمايتها من هذا المارد، ومفاد هذا الطلسم أن يفتح الخزانة السحرية ويذبح الديك الأبيض الأفرق [128] ويقطع الرايات ويقلب الصندوق بذلك يتمكن المارد من خطف الفتاة زوجة (الكسلان). عندها يدخل الزوج في صراع جديد للوصول إلى زوجته،.

نستنتج مما سبق ذكره أن العفريت قد استخدم (أبا محمد الكسلان) كأداة لفك الطلسم لأنه عجز عن التغلب على القوة السحرية التي يحضى بها (الشريف). وهذه من بين الظواهر البارزة القليلة الحدوث في حكايات شهرزاد الموحية بتغلب الإنس على الجن بالطقوس السحرية. على الرغم من أن الذهنية الشعبية تصور لنا أن الجن أقوى من الإنس في الممارسات السحرية ((لأن صناعة الطلاسم لا يقدر عليها إلا كل ساحر عاتي شاخ وداخ في مهنته لما يتطلبه هذا الفن من معرفة تامة بالشياطين))[129]، وبالطقوس التي يتطلبها عمل السحر ، تفوق المارد على الإنسي (الشريف) الساحر بالحيلة والمكر من أجل الوصول إلى عشيقته التي كان يتربص بها منذ ستة أعوام. و هذا يشبه ما ورد في حكايتي ((علاء الدين أبي الشامات)) و((علي الزئبق وقمر بنت عذرة اليهودي)) حيث المرأة تلجأ أيضا إلى الحيلة والسحر لتفوز وتتزوج بمن تحب.

---

[127] ـــ الف ليلة وليلة 63/3.

[128] ـــ يرى الجاحظ في هذا الشأن أن أهل التجربة يزعمون أن كثيرا ما يرون الرجل إذا ذبح الديك الأبيض أنه لا يزال ينكب في أهله وماله ينظر: شهاب الدين أحمد محمد النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب مصر 220/10.

[129] ـــ سليمان الأشقر ـــ عالم السحر والشعوذة ـــ الأردن ط 3/ 1997 / ص 108

تصور هاتان الحكايتان وقوف المرأة العاشقة إلى جانب عشيقها ضد أبيها الشرير الظالم ((لأن الحب عاطفة سامية لا يمكن أن تقبل بالظلم والخداع وأن كان صادراً عن الوالد))[130]. وفي القصص الشعبي كثيراً ما تتحدى الفتاة عائلتها من أجل حبيبها.

أما في حكاية علي الزئبق وقمر بنت عذرة اليهودي. نجد أن (عذرة اليهودي) الساحر الماكر يصطنع حيلة مفادها أنه من حصل على البدلة الثمينة لابنته (قمر) المعلقة في قصره السحري يفوز بها، وكان هدف اليهودي مسخ عدد كبير من الشباب المسلم الطامع في بدلة (قمر) في صور حيوانية. غير أن علي المصري تحدى الساحر اليهودي وأفشل خطته بسبب وقوع (قمر) في حبه لعفته وطهارته ، فأمهرت له نفسها و بدلتها ورأس أبيها الذي رفض الإسلام.

و بذلك تمكن (علي المصري) من التزوج بزينب الساحرة التي كانت قد اشترطت بدلة (قمر) مهراً لها.

و تصور القصة كيف أن (علي المصري) قد عاش مغامرات بين مسخ وفسخ في صور حيوانية مع عذرة اليهودي الساحر ليفتك منه بدلة ابنته الثمينة والفوز بالزواج من زينب.

غير أن الصبية التي أبطلت عنه المسخ و أرجعته إلى إنسانيته اشترطت عليه أن يتزوجها وجاريتها التي علمتها فنون السحر. بذلك يكون (عليا) البطل الوحيد في حكايات شهرزاد الذي تزوج أربعاً (قمر ــ زينب ــ الصبية ــ الجارية). ويتغلب سعده على سعد حماته (دليلة المحتالة) الساحرة وابنتها زينب بعد أن

---

[130] ــ طلال حرب ــ بنية السيرة الشعبية ــ بيروت ط 1 / 1999 ص 269.

ضربت تخت الرمل كما ورد في أول الحكاية التي جسدت العلاقات بين الحب والسحر والزواج.

تحفظ لنا السيرة الشعبية طقوسا مماثلة لما ذكرناه سابقا لفتيات تقمصن التحيل والسحر للفوز بالمعشوق منها موقف (سعدى ابنة الزناتي) خلال محاصرة بني هلال لتونس فتخبر حبيبها (مرعي) المأسور بعد أن ضربت الرمل أن والدها لن يقتله إلا (دياب بن غانم) فطلبت من أمير بني هلال أن يحضر (دياب) ليظفر برأس أبيها. سرّت (سعدى) بقتل أبيها، ولبست أفخر ثيابها، وبشرت حبيبها بمقتل والدها واحتلال بلادها وعاهدته على الزواج وعاهدها[131].وقد جاء في المثل الشعبي (الحب عينو عمياء).

نلاحظ أن (سعدى) وقفت إلى جانب أعداء أبيها، وعملت على تسهيل الفتك به . والحدث نفسه وقع في حكاية (قمر وعذرة اليهودي) و حكاية (علاء الدين أبي الشامات ومريم الزنارية) مما يدل على تداخل هذه الأجناس الأدبية وتأثير ألف ليلة وليلة في السير الشعبية.

تستكشف (مريم) عند استقرائها للغيب (ضرب الرمل)، أن علاء الدين اللاجئ إلى مدينة الإسكندرية ، والمتهم بسرقة الفانوس السحري للخليفة (هارون الرشيد) سيكون زوجا لها. فتعتمد (مريم) على قوتها السحرية في تسخير الجان باستقدام (زبيدة) زوجة (علاء الدين) إلى بلاد الروم لتعرض نفسها عليها أولا لتقبلها ضرة، ثم تلجأ إلى حيلة لإحضار (علاء الدين) ثم تصارحه ((هل تقبلني أن أكون أهلا لك وتكون بعلا لي))[132] فاستجاب علاء الدين ورضي بها زوجة بعد

---

[131] ـــ ينظر : طلال حرب : بنية السيرة الشعبية ص 240.

[132] ـــ ألف ليلة وليلة 8/3.

أن أطلعته على حقيقة إسلامها، ثم مكنته من رأس أبيها (ملك الـــروم) بعـــد أن عرضت عليه الإسلام.

بعدها تعود (مريم) من بلاد الروم وعائلتها الجديدة إلى مصـــر بوســائل سحرية، و تقرر أن لا تعود إلى الممارسة السحرية بعد ذلك [133] كان (شـــهرزاد) أرادت أن تنفي الممارسات السحرية عن الشخصية المسلمة.

و الدّارس لهاتين الحكايتين يستشف جملة من الملاحظات نسجلها في النقـاط الآتية :

ـــ البعد الإسلامي والاجتماعي للحكايتين لأن كلتا المرأتين اعتنقت الإسلام لكي يكون زواجهما شرعيا.

ـــ تقبل المرأة بتعدد الزوجات ،و بأن تكون ضرة عن طيب خاطر ورضا نفس.

ـــ جرأة المرأة في عرض نفسها على الرجل، يثبت حق الفتاة المسلمة الغـــائب في مجتمع الليالي في اختيار الزوج الذي تحبه وترضاه شريكا لها في الحياة ، وإن لجـأت إلى السحرة لسعادة نفسها على حساب والدها.

ـــ الزواج في الحكايتين طريق التفاعل الحضاري و الفكري بين الشرق والغـــرب وبين الأفكار والمعتقدات (الإسلام ـــ اليهودية ـــ المسيحية).

ـــ إن رفض المرأة لأبيها بعد إسلامها رفضا كليا والمشاركة في تغيبه عن ســـاحة الوجود ، هو شكل من أشكال الرفض للواقع ولمظاهر الحياة الاجتماعية المنبثقـــة

---

[133] ـــ ينظر :سهير القلماوي : الف ليلة وليلة ـــ دار المعارف مصر 1966 ص 31.

عن الطقوس المسيحية والسحرية. وتطلعها إلى آفاق أرحب وأوسع في كنف الحضارة الإسلامية.

يعتقد " عباس لخضر" أن موقف (مريم الزنارية) المتمثل في قتلها لأبيها ، تعصبا شعبيا إسلاميا ((ضد اتباع الديانات الأخرى فاق حدود ما يأمر به الدين الرسمي أو يسمح به))[134]. إن هذا ليس تعصبا إسلاميا وإنما رغبة في التخلص من شوائب الكفر وبالخصوص إذا علمنا أن هذه الحكاية قد تزامنت والحروب الصليبية.

2 – زواج الجان بالإنس :

لا تختلف كثيرا تصرفات الجن في الحكايات عن تصرفات الأنس في أهوائهم ونزعاتهم و بوادرهم فهم ينقمون ويعطفون و يحبون ويكرهون فإذا ما عشق الجن إنسية وأحبها لجمالها اختطفها و غرّبها عن ذويها وحجبها عن الأعين خوفا عليها من البشر . وكان يوفر لها كل ما لا يتخيله عقل إنسان من ((أنواع الفرش الفاخر من الحرير وأواني الذهب والفضة، وجميع الآلات من كل ما تحتاج إليه[بنات الملوك]))[135]، كما أنه سخر لها أداة سحرية لتحضره في أي وقت أرادت.

ففي حكاية الصعلوك الثاني من حكاية ((الحمال والبنات الثلاث)) نجد العفريت (جرجيس) يختطف الأميرة الهندية ليلة زفافها من ابن عمها ويغوص بها في أعماق الأرض ليسكنها في قصر سحري، وظل يعاشرها كزوجة طيلة خمس وعشرين سنة، ولما تأكد من خيانتها له مع الأمير (الحطاب) مزقها شر ممزق

---

[134] ــ عباس لخضر : ألف ليلة وليلة في بلاد الفرنجة مجلة العربي عدد 298 سبتمبر 1983 ص 163.

[135] ــ أحمد علي آزاد : العمارة والمدينة في ألف ليلة وليلة ــ مجلة الوحدة ــ ع 70–71 الرباط 1990 ص 90.

بتقطيع أرباعها قبل الإجهاز عليها، ومسخ (الحطاب) في صورة قرد لارتيابه في أمره . ولو تأكد من مضاجعته لزوجته لأزهق روحه. ظهر العفريت في هذه الحكاية بمظهر البطش والعتو، فغالبا ((ما تؤذي [العفاريت] و الشياطين الإنسلن وترتكب في حقه ما يحلو لها من أفاعيل))[136]. بوصفها مخلوقات قوية قادرة على إيذاء غيرها.

أما في حكاية ((سيف الملوك وبديعة الجمال)) يظهر (العفريت) أقل عنفا حيث يختطف الأميرة (دولت خاتون) بنت ملك الهند ويترلها في قصر سحري. ولما دخل عليها صدفة (سيف الملوك) وصفت له حال العفريت فقالت : ((إنه شاب مليح نظيف الثياب حسن الشباب ...يجيئني في كل يوم ثلاثاء ، وعند مجيئه يأكل و يشرب معي و يعانقني و يقبلني و أنا بنت بكر على الحالة التي خلقني الله تعالى عليها))[137].لكن على الرغم من هذه الطيبة التي أبداها العفريت اتجاه الأميرة ، إلا أن هذه الأخيرة لم تبادله المعاملة نفسها إذ تحايلت عليه لمعرفة الطقس السحري الذي كان يستخدمه حفاظا على نفسه و عاهدته على عدم كشف السر لأحد.

و للإشارة فإن هناك حكاية مماثلة ((أنس الوجود مع محبوبته الورد في الأكمام))[138] بطلها المخطوف رجل وليس امرأة كما في الحكاية السابقة حيث تعمد جنية من الصين إلى خطف أنسي و تنقله إلى جبل الثكلى لتخفيه عن الأعين وتتزوج به، فتنجب منه أطفالاً.

---

[136] ــ ابراهيم بدران ، سلوى الخماش : دراسات في العقلية العربية ــ بيروت ط2 1979 .52/1.

[137] ــ ألف ليلة وليلة 224/4 ــ 225

[138] ــ المصدر السابق 156/3

تصور لنا هذه الحكايات أن زواج الجن الأشرار بالإنسيات لا يتم إلا عن طريق الاختطاف[139]، حيث يعجب جني بصبية عذراء ذات حسن وبهاء، يختطفها من ذويها، ويترلها بقصر سحري، فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، ويضع في خدمتها طقساً سحرياً مطلسماً لتحضره عند الحاجة.

يظهر العفريت (جرجيس) في ((حكاية التاجر و العفريت))[140] تصرفا مماثلاً للملك شهريار في قتله لزوجاته عقابا لهن على خيانتهن له، غير أن زوجة هذا العفريت لم تكن شرعية لأنه اختطفها، واغتصب أنوثتها، فانتقمت منه، بإقامة علاقة جنسية مع أحد بني جنسها (الأمير الحطاب) في غيابه.

وعلى الرغم من المعاشرة الطويلة بين هذا العفريت جرجيس و زوجته ، التي دامت نحو خمسة وعشرين عاما ، فإنه لم ينجب معها ، و هذا عكس الجنية الصينية التي خلفت أطفالا مع زوجها الإنسي في جبل الثكلى ، و هذا قد يعود ربما لاختلاف طبيعة المرأة عن الرجل حتى ولو كانت من الجن.

و على الرغم من محاولة (الأمير الحطاب) في تخليص الأميرة (أسيرة العفريت) من التعاسة والغربة التي كانت تشعر بها من جراء هذا الزواج، فإن هذه الأخيرة كانت تمنعه من فك الطلسم و تكسير القبة السحرية لأنها كانت تدرك عدم قدرته على مواجهة زوجها العفريت. فهو ليس بساحر ولا يملك الأداة السحرية وهذا عكس الأمير سيف الملوك الذي كان يتمتع بالقوة السحرية المتمثلة في خاتم سليمان عليه السلام، حيث استطاع أن يفك طقس الطلسم ويخنق

---

[139] ـــ ما تزال ظاهرة الاختطاف مستخدمة على هذا الوجه عند كثير من الشعوب البدائية وهي أكثر أساليب الزواج شيوعا بين طوائف الغجر وكانت السبب في ظهور عادة الزواج من خارج العشيرة، وما ترتب عليه من تحريم الزواج بالمحارم. :ينظر فوزي العنتيل، المرجع السابق ص 376.

[140] ـــ ألف ليلة و ليلة 8/1

العصفور الذي كان يخفي روح العفريت، (حاتم بن مالك الأزرق) فتزهق روحه، وبذلك تتخلص الأميرة (دولت خاتون) من الأسر وتخلف عهدها مع العفريت لتؤكد للذهنية الشعبية التي لا تنصف المرأة أن لا عهد لها إذا عاهدت ولو مع العفريت.

نستنتج مما سبق أن هؤلاء العفاريت مخلوقات مجبولة على الشر وهي في صراع دائم مع الإنسان ، كأنها لم تخلق إلا لتأذيه حقداً أو حسداً منها ، وهي ((تسكن الأماكن الخربة والجبال النائية الغريبة))[141]، فلا يستطيع الإنسان أن يتعايش معها.إلا إذا كانت من الجن المؤمنة كما يتجلى ذلك في بعض النماذج من حكايات ألف ليلة و ليلة [142].

في حكاية الصعلوك الثاني من حكاية ((التاجر والعفريت)) تظهر الجنية في صورة فتاة جارية ، فتصرّح للتاجر الصعلوك ((يا سيدي تزوجني وخذني بلادك فإني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفا لأنني ممن يصنع معه المعروف والإحسان ويجازى عليها ولا يغرّنك حالي)[143]، فيقبل الصعلوك هذا الطلب و يتزوج بها ، لكن أخوته حسدوه على هذا الزواج و كثرة ماله، فسولت لهم أنفسهم رميه في البحر فقامت زوجته(الجنية) لتخلصه من الغرق، فكشفت عن حالها: ((أنا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل بإذن الله تعالى، واعلم أني جنية رأيتك فأحبك قلبي وأنا مؤمنة))[144].

---

[141] - FELIX GUIRAND : Mythologie Général publiée sous la direction paris 1935/ p 58

[142] ــ ينظر : حكاية (حسن الصائغ البصري) ألف ليلة و ليلة 256/4

[143] ــ ألف ليلة وليلة 12/1.

[144] ــ المصدر السابق 13/1.

و على العموم فإن رغبة الأنس في الزواج بالجنيات كما ترسم لنا ذلك معظم الحكايات الشعبية هي بمثابة طريق الخلاص من عالم الفقر والحرمان والعبور إلى عالم الغنى والمال.

أما رغبة الجنية المؤمنة في الزواج بالإنسي المسلم كما في حكاية ((التاجر والعفريت)) دائما ، فإنه سبيل لتخليصها من عالمها ونقلها إلى عالم الإنس حيث الإسلام ((واعلم أني جنية رأيتك فأحبك قلبي وأنا مؤمنة))[145] .

يكشف لنا هذا الحنين المتبادل بين عالم الجن وعالم الأنس عن تلك الرغبة الجامحة في التحرر من القيود والتخلص من الأوضاع الاجتماعية، ويبدو أن عالم الجن هو الآخر ، تضيق فيه الجن المؤمنة كما يضيق الأنس في عالمه لذا نراها تحّن إلى عالم آخر يخلصها من عالمها، ويهفو بها نحو آفاق أرحب.

3 ــ زواج الإنس بالجنيات :

إن حب الإنسي للجنيات والتزوج بهن كان شيئاً مألوفاً في الميثولوجيا العربية، وقد يكون فيه اقتراب من زواج الآلهة بالناس في الأساطير الإغريقية. نصادف في الليالي صورا عديدة لهذا الزواج الذي لا يتم إلا بعد مغامرات ورحلات شاقة مفعمة بالسحر و الخوارق . ففي حكاية ((حسن الصائغ البصري)) نجد حسنا يهتدي إلى قصر فيه سبع بنات من الجن ، فرحبن به في أرضهن وتآخى مع أصغرهن التي حذرته من فتح باب إحدى المقصورات في غيابهن، لكنه اخترق المحظور، و فتح الباب فرأى عجبا، بنات في هيئة طيور يأتين

---

[145] ــ ألف ليلة وليلة 13/1.

إلى بحيرة القصر فيترعن عنهن ريشهن السحري و يسبحن، ويلعبن في الماء ، فتعلق قلبه بإحداهن اسمها (منار) و هي ((بنت ملك من ملوك الجـــن العظـــام الشـــأن ...فيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلـــب بـــه أهـــل مملكتها))[146].

احتال (حسن البصري) على (منار) لينتزع منها ثوبها الريشي بغية التزوج بها .فلما تمّ له ذلك عاد بها إلى مدينة البصرة . لكن (منار) بقيت متعلقة بعالمـــها، فما أن استرجعت ثوبها السحري حتى عادت هاربة موصية حماتها: ((إن جـــاء ولدك وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئني إلى جزائر الواق واق)[147].

وفي حكاية الأمير (جانشاه)[148] نجد تجربة مماثلة، حيث يتزوج هذا الأخـير بجنية اسمها (شمسة) فيحضرها إلى بلاده (كابل). و بعد مدة تتحصل على ثوبهـــا السحري، و تطير به إلى عالمها، وهي تصرح لزوجـــها ((والله أني أحبـــك محبـــة عظيمة... فإن كنت تحبني كما أحبك فتعالى عندي إلى قلعة جوهرتكني))[149].

الملاحظ أن هجرة الجنيتين (شمس ، منار) للمجتمع الإنسي وعودتهما إلى عالمها ، هي هجرة اختبار للعشيق أو الزوج حيث تختبر كل منهما زوجها بعبـارة ((إن كنت تحبني كما أحبك فتعال عندي)). فتحدد (منار) الموقع الجغـــرافي في منظوره الطبيعي جزر (الواق واق) وترسمه (شمسة) في منظوره الخيـــالي (قلعـــة جوهرتكني).

---

146 ـــ ألف ليلة وليلة 289/4.

147 ـــ المصدر السابق 311/4.

148 ـــ المصدر السابق 345/3

149 ـــ المصدر السابق 348/3.

يفجع الزوجان (حسن البصري والأمير جانشـــاه) لرحيـــل زوجتيـــهما ويصابان بداء العشق والهيام يعجز عنه الأطباء والمنجمون.و يقـــرر كـــل منـــهما الرحيل إلى حيث زوجته، ويركب الأخطار. ويتحمل المتاعب في رحلة شاقة مليئة بالأهوال. و على عادة الحكايات الشعبية كما يرى (فلادمير بروب) أن يســـتعين البطل بوسائل سحرية تؤدي به إلى هدفه ، فحسن البصـــري والأمـــير جانشـــاه يتغلبان على المصاعب بمساعدة الجن وطقوسها السحرية في الوصول إلى عالم الجن، حيث يستقبل الأمير (جانشاه) استقبالا عظيما في (قلعة جوهرتكني) فيقترب مـــن زوجته الجنية (شمسة) ووالدها (شهلان) الذي أقام لهما عرسا و احتفالا دام سبعة أيام ،و أوصي ابنته خيراً بزوجها.

بفضل هذا الحب الصادق والسامي بين الإنس والجن تحول المســـتحيل إلى ممكن وقررت الجنية المرأة القوية القادرة على التحليق والطيران والسحر والمكـــر أن تتزوج بإرادتها بأضعف مخلوق دون أن تجد معارضة من أهلـــها. أمـــا (حســـن البصري) فقد وصل إلى جزر (الواق واق) حيث زوجته بمساعدة الجنية العجـــوز (شواهي) .

و للإشارة فإن علاقات الحب والزواج بين الإنس والجن علاقات قديمـــة، إذ تذكر إحدى الأساطير العربية إن ((عمرو بن يربوع تزوج (سعلاة) فمكثت لديـــه زمنا أولدها فيه بنين ولكنها شهدت يوما برقا على بلاد السعالي فطارت إلى أهلـــها الذين زعموا أنه سيجدها خير امرأة ما لم ترى برقاً))[150]. وما زالت الذاكـــرة الشعبية تحفظ هذا النوع من الزواج وتنسج حوله أساطير كثـــيرة كتلـــك الـــتي

[150] ـــ أبو عثمان الجاحظ ـــ الحيوان : تحقيق عبد السلام هارون ط3 1969 ص197/6.

تتحدث عن جمال الجنيات[151] ، و هو جمال يفوق جمال الغانيان كما جاء في قول مدرج الريح الذي زعم أنه كان يهوى امرأة من الجن كانت تتراءى له في الهواء :

لابنة الجن في الجو طلل دارس الآيات عاف كالخـــــــــلل[152]

للإشارة إن هذا الحب والزواج بين الإنس والجن يحقق المساواة بين العالمين، ويرسم شوق الإنسان الدائم إلى التفوق على كل ما لم يفهمه من مظاهر القـــوة الخارقة حوله.

كما أنه يصور رغبة الإنسان في التخلص من الفقر و الحرمان والحلم بالثراء والجاه ، بفضل ما تقدمه الزوجة الجنية لزوجها من أموال .

وفي الحكايتين تماثل فيما عاشه (عنترة) من مغامرات مثيرة ليفوز بحب ابنـــة عمه (عبلة) زوجة كي يتخلص من عالم الرق والعبودية ، وينقل إلى عالم الزعامـــة والسيادة في قومه.

4 – استكناه الغيب :

عاش الإنسان مراحل عمره الأولى حياة بدائية تحيط بها العديد من الأخطـار و الأهوال التي لم يستطع إدراك حقيقة كنهها. فعجز عن اكتشـــــاف النواميـــس والقوانين التي تضبطها وتسير وفقها، سواء أكانت قوى عجيبة أم أجساما لـــــها تأثير في الحياة.

---

[151] ـــ تصور المعتقدات الشعبية الفارسية الجنيات في صورة جميلة ، وهذا عكس الجان الذي تضفي عليه كل مظاهر القبح و التشويه .حول هذا الموضوع ينظر: كاملي بلحاج : أصول المعتقدات الشعبية و مظاهرها في منطقة بلعباس رسالة ماجستير معهد الثقافة الشعبية تلمسان 1992 ص80

[152] ـــ أبو الفرج الإصفهاني : الأغاني :دار الكاتب المصرية 1929 – 126/3.

أول ما تمكن الإنسان من فهمه لتلك الخوارق إيمانه بوجود قـــوى خفيـــة مسيطرة ذات قدرة أسمى من قدرة تلك العناصر والكائنات المحيطة به. فـــارتبطت الخرافات بالغيبيات، وافترضت وجود عوالم أخرى محكومة و مسيرة من قبل قـوى خارجة عن ذواتنا وغائبة عن مدركات حواسنا. وقد أدى ذلك إلى ظهور فئـات من الكهان والمشعوذين زعموا أن لهم علاقة بهذه القوى الغيبية. و أصبح للإنســان ولع شديد بمعرفة الغيب والتطلع إلى المستقبل عندما كان مقبلا على أمر هام يؤثـر في حياته بشكل أو بآخر كالإقبال على الزواج مثلا. و الإنسان شديد الرغبة لمعرفة الغيب لأن من ((من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم وعلى ما يحدث لهم من حياة أو موت أو خير أو شر سيما الحوادث الهامة كمعرفة ما بقـي من الدنيا ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة البشر فهم مجبولـون عليها لذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون بأحلامهم ويعلقون آمالهم إن خـير أو شر))[153].

و نجد بعض الناس لديهم قوة تمكنهم من رؤية الأشياء والحـــوادث غـير المنظورة سواء في الزمان أو في المكان وهم يعللون هذه القدرة ، بوجود خاصيـة في أرواحهم ، سموها بعد النظر الروحي، وأشهر الذين يدعون معرفة الغيب الكـــهان والسحرة. والكهانة إدعاء بعلم الغيب كالإخبار بما ســيقع في مســتقبل الزمـــان والمكان مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيها استراق الجني الســـمع مـــن كـــلام الملائكة فتلقيه في أذهان الكاهن ، (ولا يقوى الكاهن على بلوغ الكمال في إدراك الغيب لأن وحيه من الشيطان)[154] فيعرض له الصدق و الكذب ولا يكون واثقـا بما يقول فيلجأ إلى الظن والتخمين حرصا على كسب ثقة الكاشف .

---

[153] ــ عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ــ بيروت ــ 578/2.

[154] ــ المرجع السابق : 75/1.

كان فن الكهانة شائعا عند العرب ((وعليه مدار فصل خصوماتهم ومنازعاتهم خصوصا في الجاهلية لانقطاع البنوة فيهم))[155]. و كانوا يهتدون إلى ضروب مختلفة لاستكناه الغيب و معرفة الطالع ، منها الطرق بالحصى أو (ضرب الرمل) والتنجيم الذي يتم عن طريق قراءة النجوم، وحساب الكواكب و الزجر و هو الاستدلال بصوت الحيوان و حركته و حالته على الحوادث و نتائجها تفاؤلا و تشاؤما.

و يبدو أن هذه التقاليد تعود إلى ((الحضارة البابلية التي كان زجر الطير شائعا فيها))[156]. ومنها العرافين والناظرين في الأجسام كالمرايا، وقراءة الفأل في قلوب الحيوانات وأكبادها وغيرها، وهذه كلها ضروب من الكهانة، نجد لها نماذج واضحة في حكايات ألف ليلة وليلة كما سيتضح لنا بعد قليل.

أ ــ الأحلام :

الأحلام جزء من معرفة الغيب ومظهر من مظاهر القوة الخفية التي لا تدرك بالحواس ، وهي وسيلة اتصال مستمرة بين الإنسان و بين القوة الغيبية. وقد أتعبت الأحلام كثيرا الإنسان البدائي لجهله بعلل حدوثها و مصادرها ، مما جعله يعتقد أن القوة الغيبية(غير المرئية) هي التي تصور له ما يراه في نومه من أشياء . فكان يعطي أهمية خاصة لأحلامه التي لا تقل قيمتها عن قيمة المدركات التي تحدث له في أثناء اليقظة ، فجعلها وسيلة أساسية في حسم أمور حياته الهامة. فالهندي على سبيل

---

155 ــ محمود شكري الألوسي: بلوغ الإرب في معرفة أحوال عرب ــ تحقيق محمد بهجة الأثري ط3 – 67/3.

156 – سعد الخادم : الفن الشعبي و المعتقدات السحرية ــ مكتبة النهضة المصرية ص 142.

المثال، ((يعتقد اعتقادا جازما في أحلامه ويدع لها توجيه أفعاله)) [157] إن خـــيراً وإن شراً.

يرى ليفي بريل ((أن الحلم هو العراف الذي تستشـــيره هـــذه الشـــعوب ويحذرهم من النكبات المسلطة عليهم وهو السيد المطلق الذي لا يدانيه عندهـــم أي سيد آخر)) [158] .فهو بمثابة الكاهن الذي يتنبأ لهم بما سيحدث لتجنب نكبـــات الدهر وعواقبه.

اكتسبت الأحلام في البلاد العربية والإسلامية صبغة دينية محضة، حيـــث عظّم لله أمرها ورفع من شأنها ، وقد ورد ذكرها في العديد من قصـــص القـــرآن الكريم كقصة سيدنا يوسف ، وقصة إبراهيم عليهما السلام، وقصـــة فرعـــون. والرؤيا شكل من أشكال الإطلاع على الغيب و قد اعتبرها المسلمون إلهاما إلهيـــا يوضح في ذلك ابن خلدون ((فطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بـــالنوم الذي هو جبلي لهم فتتعرض النفس عند ارتفاعه إلى معرفة ما تتشوف إليـــــه في عالم الحق فتدرك في بعض الأحيان منه لمحة يكون فيها الظفر بالمطلوب، ولذلـــك جعلها الشارع من المبشرات)) [159] .

أعتقد إذا كان الحلم خاصية نفسية موجودة في عموم البشر فهي متفاوتـــة في مدلولها حسب الاستعدادات و الرغبات النفسية، فإن الرؤيا جزء مـــن النبـــوة لذلك عظم الله أمرها في الكتب المنزلة وهي فعل النفس الناطقة ولو لم يكن لهـــا حقيقة لم يكن لإيجاد هذه القوة في الإنسان فائدة وهي ضربان: رؤيا صريحـــة لا تفتقر إلى تأويل قال الله تعالى : ((يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَـــانْظُرْ

---

[157] ـــ ليفي بريل : العقلية البدائية ، ترجمة الدكتور محمد القصاص مراجعة و حسن السعاتي مصر 106.

[158] ـــ المرجع السابق : ص 115.

[159] ـــ عبد الرحمن ابن الخلدون : 180/1.

مَاذَا تَرَى)) [160] .ورؤيا صادقة تفتقر إلى تعبير حتى تفهم مدلولاتها قال الله تعالى : ((هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِي حَقاً))[161] .

لذلك يحتاج المفسر للأحلام إلى مهارة يفرق بها بين الأضغـــاث وغيرهـــا وليميز بين الكلمات الروحانية و الجسمانية ويفرق بين طبقات الناس إذ فيهم مـــن لا تصح رؤياه ولا يقدر على كشف الغيب.

أخذت الأحلام في الليالي دورها كإشارة إلى الكشف عن الغيب والتطلع إلى مـــا سوف يحدث باعتبارها واقعا روحانيا ملهما ومنبئا بالمستقبل بصورة مباشـــرة دون حاجة إلى تأويل طقوسه أحيانا. وهذا ما نجده في حكاية (الناسك والراعي) مـــن حكاية عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان. كان رجل من الرعـــاة عقـــل وعفة ودين يقيم في جبل فمرض مرضا شديداً وكان بقرب منه رجل صـــالح و لم يعلم بمكانه فرأى في منامه من يحدثه (بالقرب منك في مكان كذا رجـــل صـــالح فاذهب إليه وكن تحت طاعة أمره)[162] ، في الصباح توجه ســـائرا نحـــو الراعـــي مسترشدا بما رأى في منامه، في الوصول إليه فسأله من أوصلك إلى هـــذا المكـــان الذي لم يدخله أحد، فذكر له ((إني رأيت في منامي من يصف لي مكانك ويأمرني بالسير إليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلا لما أمرت به))[163] فطـــابت نفســـه بصحبته فكان الحلم مزيلا لستار الغيب عن الناسك، وأنبأه بالرجل الصالح وكـــان دليله في الوصول إليه في يسر دون مشقة أو تعب ليكون في صحبته.

---

[160] ـــ سورة الصافات الأية رقم 102.

[161] ـــ سورة يوسف الآية رقم 99.

[162] ـــ ألف ليلة وليلة 158/2.

[163] ـــ المصدر السابق 158/2

وفي حكاية (حسن البصري) بعد أن يدخل (حسن) بزوجته (منار السنا)، ويعيش معها في حبور و سرور وهو في أرض الجن، يرى في المنام أن أمه حزينة عليه و تقول له : ((يا ولدي كيف تعيش في هذه الدنيا منعما، وتنساني فانظر حالي بعدك وأنا ما أنساك ولا لساني يترك ذكرك، أترى أن أعيش يا ولدي وأنظرك عندي ويعود شملنا مجتمعا كما كان))[164].

و نجد بعض الحكايات الأخرى تسرد لنا أحلاما غير مباشرة أي مرموزة ولا تحمل الفكرة الحقيقية لحالتها الأصلية ، ((لأن الرموز لها دلالتها اللاواعية والتي لا يمكن إدراكها إلا بالتفسير))[165]، الذي يختلف من شخص إلى أخر . حول الحلم الواحد في حكاية الملك (رومزان) من حكاية الملك عمر النعمان،وولديه شركان وضوء المكان. يرى الملك (رومزان) مناما يعجز الرهبان في تفسيره ، فأرشد الملك إلى الوزير (دندان) لتفسير منامه، فذكر له : ((رأيت أني في حفرة على ضفة بئر أسود وكأن أقواما يعذبونني ... وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الأرض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما فإذا هما قد صارتا منطقة واحدة... فقال الوزير (دندان) أعلم يا مولانا السلطان إن رؤياك تدل على أن لك أخا وابن أخ أو ابن عم أو أحداً يكون من أهلك))[166]. ثم تطلعه الداية على حقيقة الأسرى الذين كان ينوي قتلهم وهم ابن أخيه وأخته وابنة أخته . بهذا نجد الحلم ينقذ الملك من ارتكاب جريمة في حق ذويه.

---

[164] ـــ المصدر السابق 298/4

[165] ـــ علي كمال : باب النوم وباب الأحلام ط2 بغداد 1990 / ص 576.

[166] ـــ ألف ليلة وليلة 2 /130.

وفي حكاية حسن البصري ومنار السنا نلاحظ أن (منار) عندما تركت زوجها (حسن) في عالم الإنس، وعادت إلى أرض الجن ، يقص عليها أبوها (ملك الجان) ((رأيت كأني دخلت كنزاً فرأيت أموالا عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكأنه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه .... إلا سبع حبات وأحسن ما فيه، فاخترت أصغرها ووضعتها في كفي وإذا بطائر غريب خطف الجوهرة من يدي))[167] فلما استيقظ الملك عرض رؤياه على المعبرين والمفسرين، فقالوا له أن لك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهراً بغير رضاك.

من هذه النماذج نتبين الضروب المختلفة للأحلام . غير أن في حكاية (الناسك والراعي). جاء الحلم يحمل صبغة دينية محضة أطلع الله الناسك على مكان الراعي المتعبد فانتقل إليه امتثالا لأمر ربه.

وفي حكاية (حسن البصري)وأمه كان الحلم بمثابة بشير خير، حيث عبر عن حالة أخلاقية وتربوية كشف (لحسن) حال والدته من بعده التي اشتغل عنها وهو في عالم الجن بزوجته الجنية (منار).

أما حكاية الملك (رومزان) تذكرنا بحلم (فرعون) الذي قض مضجعه وشغل باله وأرسل في طلبه جميع السحرة والحكام في (مصر) وروى لهم حلمه لكن أحداً لم يستطع فهمه فأرسل في طلب (يوسف) عليه السلام ذي الموهبة الخارقة وهو سجين ليكشف الغيب لفرعون بتفسيره لأحلامه، وتؤهله قدرته ليكون مستشار فرعون ووزيره الخاص.

---

[167] ـ الف ليلة وليلة 357/4..

كذلك الملك (رومزان) يعجز خدام قصره، ورهبانه في تأويل حلمه فيستعين بالوزير (دندان) وهو الخصم والأسير.

يكشف الوزير الغيب الذي كان يجهله الملك في حق أسراه وهو (ابن أخيه، أخته، وابنتها).فكان الحلم بمثابة رسالة أنقذت الملك من الخطأ المحقق في قتله لذويه ورفعت الأسير (الوزير دندان) إلى مستشار الملك بعد أن خلصه من الأسر.

وفي حكاية (منار) مع أبيها من حكاية (حسن البصري)، كشف المعبر للملك أن الحلم أبان له أن ابنته (منار) متزوجة من غير بني جنسها وسيفقدها مكرها بسبب هذا الزواج الذي كان بغير رضاه. لكن ما عساه أن يفعل وهو ملك من ملوك الجن الخاضعة له السحرة والكهان وأرهاطا من الجن والأعوان في أمر محتوم غير مرغوب، ساقه القضاء والقدر في الحلم الذي ليس منه مفر كان بمثابة رسالة جاءت لتحضر الأب وتهيئه نفسيا للخضوع للأمر الواقع الذي لا يقوى على رده.

الأحلام التي تتوقع حصول بعض الأحداث المستقبلة تنتمي إلى حيز التكهنات العقلية، ولكي تكون هذه الأحلام صادقة في نبوءتها لابد لها من طقوس تعطيها هذه الخاصية.

فالهنود مثلا يلجؤون إلى الصوم في استشارة الأحلام لأن الصوم له خاصية التطهير فهو ينقل المرء من العالم الدنيوي إلى العالم المقدس حسب اعتقادهم و((الحالم، إذا نام وهو في حالة من الطمأنينة والسلام الداخليين ، يبصر أحلاما على قسط أدنى من اللاعقلانية))[168].و هذه الرؤى لا تختلف عن النظرة الإسلامية

[168] — إيريك فروم : اللغة المنسية مدخل إلى فهم الأحلام و الحكايات و الأساطير ترجمة حسن قبيسي المغرب 1995 ص 108.

كما ورد عند ابن خلدون التي ترى أن إخفاق الروح إلى عالم الروحانيات يتـــم بالاستعدادات البدنية والروحانية.

كما في الحكايات نجد لدى العامة اهتماما كبيراً بالأحلام وتفسيرها بوصفها وسيلة اتصال تقوم فيها الأرواح برحلة من مكان إلى مكان ومن عالم لآخر تحمـل رسائل ، أرسلت من القوى العليا الغائبة الحاضرة تقتضي ضرورة فهمها كيف مـا كان شكلها وأنها وسيلة من وسائل كشف الغيب. وهناك طـرق أخـرى غـير الأحلام لمعرفة الغيب منها ضرب الرمل.

ب ــ ضرب الرمل :

ضرب الرمل طقس من الطقوس الشعبية، و سمي بخط الرمل نسبة إلى المـادة التي يتم من خلالها ، و التي يعتمد عليها السحرة و يضعون فيها عملهم لتسـخير القدرة السحرية ومعرفة الغيب والتطلع إلى المستقبل والاستعداد لمـا سـيكون ، وهذه سجية بشرية منتشرة في كل أنحاء العالم وإن اختلفت مظاهرهـا وطـرق ممارستها.

في حكاية (أحمد الدنف) تلتقي دليلة المحتالة، برجل في شوراع بغداد يشـبه (أحمد الدنف) رئيس شرطة بغداد في هيئته، فارتابت في أمره ورغبت في معرفـة حاله فاجتمعت بابنتها (زينب) لتضرب الرمل، و تعرف حاله ، فطلع اسمه (علـي المصري) وأن سعده غالب على سعدها.

و في سياق الحكاية نفسها ، لما همَّ علي المصري بقتل (عذرة اليـهودي) الساحر ليحصل منه على بدلة ابنته (قمر) جمّد حركة أطرافه في الهواء بطلسـم

سحري، فلما خلصه منه ، ضرب الرمل فظهر له أن المعتدي اسمه (علي المصـــري) وأن سعده غالب على سعده.

وفي نهاية الحكاية يلقي اليهودي حتفه على يد خصمه علي ، كما تنبـــأ في أول الحكاية. أما في حكاية (علاء الدين أبي الشامات) يرغب ملك الـــروم علـــى عادة ملوك وسلاطين زمانه في معرفة عاقبة أمره وما يترقبه في المستقبل.فطلب مـــن أمه الساحرة أن تضرب له رملا فطلع لها أن نهاية ابنها (الملك) تكون على يد بعيد يجيء من الإسكندرية فيذمر الملك الشر لكل قادم من هذه المدينة . ومن طريـــف الحكاية إن (حسن مريم) بنت الملك تضرب هي الأخرى رمل لنفسها فيظـــهر أن الذي سيتزوجها الإسكندري علاء الدين أبي الشامات قاتل أبيها، فتتزوجه وتشـــد أزره في الفتك بأبيها. لتصدق نبوءة الجدة الساحرة في تكهنها.

وهذه الجارية (زمرد) في الحكاية المنسوبة إليها، بعد أن تفقد زوجها (علي شار) وتفرّ من خاطفها (جوان الكردي) تجعلها الأقدار ملكة فتقيم مأدبة علـــى رأس الشهر لكل من في المدينة علّها تجد زوجها. يحضر (جوان الكردي) المأدبـــة، ويجلس على طبق من الأرز فتتعرّف الملك إليه لأول وهلة.

وعلى الرغم من ذلك تضرب رمل بطقس سحري مميز يتمثل في أنها ((تخط بقلم من نحاس صورة قرد ثم تتأملها ساعة بعدها تتعرّف علـــى اسمـــه وحقيقـــة أمره))[169] بعد أن حاول التنكر .

إن ضرب الرمل ممارسة سحرية قديمة ترمي إلى كشف الحجاب عن الغيـــب للاحتراز من المجهول والاستعداد إلى ما سيكون، كما تبّين في الحكـــايتين (أحمـــد

---

[169] ـــ ينظر ألف ليلة وليلة 92/3.

الدنف) و (دليلة المحتالة) وحكاية (علاء الدين أبي الشامات). غير أن المدقـــق في حكاية (زمرد) يجد أن ضرب الرمل لم يزد في علمها شيئا لأنها لم تعرف إلا مـــا كانت تعرفه من قبل الجاني في حقها (جوان الكردي)، لكن غرضها كما أعتقـــد هو أن تثبت وتبرهن للحضور من الأمراء وكبار الأعيان في دولتها الذين تعجبـــوا في إصابتها في ضرب الرمل، حيث ذكر أحدهم ((أن هذا ملك منجم ما في الدنيا مثله))[170].ولتثبت أنها ليست كالذين سبقوها في الحكم ، وأن لها قدرة ســـحرية وأداة (قلم من نحاس) تمكنها من معرفة خبايا الأمور بنفسها.

إن هذه الطريقة السحرية مميزة في طقوسها عن طريقة ضرب الرمل المعتـــادة ((يخط الساحر خطوطا على رمل أو تراب ويكون ذلك منه في خفة وعجلة كـــي لا يدركها العدُّ والإحصاء فيمحوها خطين فإن كان آخر ما يبقى منها خطان فهو آية النجاح وإن كان قد بقي خط واحد فهو علامة الخيبة والحرمان))[171] والشـــق الأول هو السائد في حكايات شهرزاد. أما جلوس الخصوم على صحن الأرز ، فإن له دلالة سحرية، لأن ((الأرز في العقلية البدائية يهدئ الأرواح الشريرة التي تكون دائما حاضرة في الولائم))[172]. لذلك يقدم طعام الأرز لإرضائها والتهدئـــة مـــن روعها، وعلاقة النحاس بعالم السحر في الليالي قويـــة كشـــأن الطلســـمات في المعتقدات الشعبية.حتى أن مدينة بأسرها سماها الحاكي مدينة النحاس.

يعد ضرب الرمل القسم الثاني من الأقسام السحرية العشرة التي قســـمها الرازي في كتابه النبوات و هذه ((الأقسام لا يتم ولا يكتمل مدلولها الســحري إلا

---

[170] ـــ ألف ليلة وليلة 72/3.

[171] ـــ محمود شكري الألوسي ـــ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ـــ دار الكتاب العربي مصر ـــ ص 323.

[172] ـــ فوزي العنتيل : بين الفلكلور والثقافة الشعبية ص 395.

عند الاستعانة بالسحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم وهو أعظمها قوة وأشدها تأثيراً))[173]، ويقصد به التنجيم.

ج ــ التنجيم :

كان البابليون والكلدانيون من الأوائل الذين وضعوا أسس علم النجوم واهتموا بقراءة الإجرام السماوية، ولما غزاهم ((الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد هاجر كثير من منجميهم وكهانهم إلى بلاد العرب لقرب لسانهم من لسان العرب فكان العرب مدينون للكلدان بعلم النجوم))[174].بقوة العناية وطول التجربة أدرك العرب مواقع النجوم ومطالعها ومغاربها واهتدوا بها في ترحالهم وأسفارهم وساعدهم في ذلك صفاء سمائهم وجفاف هوائهم على ملاحظة الكواكب والاستدلال بها في البر والبحر، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ((هُوَ الذِي جَعَلَ لَكُمْ النُجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ))[175]، وقال تعالى : ((وَعَلاَمَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ))[176].

بهذا الخطاب القرآني يتبين الأثر العظيم الذي كان للنجوم في حياة العرب من حيث علاقتها بسبل عيشهم ونمط حياتهم المرتبطة بحركة الإجرام السماوية المؤثرة في العالم السفلي وهو ما يعرف عند العرب باسم التنجيم.

اهتم خلفاء الدولة العباسية به اهتماما بالغا وكان أولهم أبو جعفر المنصور الذي ترجم له كتاب (**السند هند**) وكان لهذا الفن شأن عظيم في هذه الدولة.

---

173 ــ فخر الدين بن عمر الخطيب الرازي : النبوات وما يتعلق بها مصر ص 42

174 ــ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي مراجعة حسين مؤنسى دار الهلال 1958 3/ 16.

175 ــ سورة الأنعام الآية 97

176 ــ سورة النحل الآية 16..

حيث كان ((المنجمون من موظفي الدولة كما كان الأطباء والكتاب والحساب لهم الرواتب والأرزاق))[177].

ونتيجة لانتشار التنجيم في هذا العصر واهتمام الفئات الشعبية والرسمية به انعكست آثاره في النتاج الشعبي ،كما نجده في ألف ليلة وليلة متأرجحا بين المحظور والمسموح، ففي حكاية الجارية (تودد) أرادت أن تضرب عنق المنجم حين سألها عن إمكانية معرفة مواقيت نزول المطر، اعتبرته زنديقا، لكنها تتحدث عن الشيء ونقيضه، حيث تتنبأ ما سيحدث لها مستدلة على ذلك بحركات الكوكب.

وقد يكون التنجيم بمثابة القضاء والقدر والخضوع لظروف الحياة، حيث لا مفر مما ذكره المنجم، على غرار حكاية (سيف الملوك) المعروفة باسمه. لما هم برمي نفسه في البحر تأسفا على تكسير الرياح لمراكبه أثناء رحلته الشاقة في البحث عن عشيقته (بديعة الجمال) فأخبره المماليك ((أنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ولكنه شيء مكتوب... فقد قال المنجمون لأبيك عند ولادتك إن ابنك هذا تجري عليه الشدائد كلها))[178]. وليس لنا إلا الصبر حتى يفرج الله الشدائد.

ويظهر التنبؤ بحساب النجوم بقراءة طوالع المواليد قصد معرفة الغيب، لمحاولة تجنيب المولود نكبات الدهر ونوائبه ففي حكاية (حاسب كريم الدين) المنسوبة إليه، حسب المنجمون طالعه حين ولادته وناظره من الكواكب. ثم أطلعوا أمه إن ((هذا المولود يعيش أياما كثيرة، ولكن بعد شدة تحصل له في مبدأ عمره فإذا نجا

---

[177] ـــ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي 3/ 210.

[178] ـــ ألف ليلة وليلة 214/4.

منها يعطي بعد ذلك علم الحكمة))[179]. وفي نهاية الحكاية يشتهر (حاسب) بالتبحر في فن الكهانة والسيمياء والتنجيم والطب.

5 – الوظيفة العلاجية :

تعد صناعة الطب من أشرف الصنائع و أجلها، فقد ورد ذكرها في الكتب المقدسة والأوامر الشرعية حيث كان علم الأديان قرينا بعلم الأبدان. وهي من الأشياء التي بها صلاح الإنسان في كل عصر و أوان، وقد عّبر عنها جالينوس بقوله: ((إن الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب وألهمها الناس وهي أمر ضروري لحياتهم المنوطة بهم حيث ما وجدوا ومتى وجدوا))[180] فالطب وقاية وعلاج في الوقت ذاته.وقد نشأ نشأة شعبية في أول الأمر حيث استأثر به السحرة والكهان بوصفه أصلا من أصول السحر ثم، وجد طريقه إلى الخاصة عندما تطورت المعارف و الخبرات ليصبح على مر العصور من أخص علوم الخاصة.

وعلى الرغم من ذلك لم يبتعد عن نشأته الأولى حيث ظل لصيقا بالطبقات الشعبية التي لم يستطع الطب الحديث أن يستوعب قضاياها الصحية والنفسية. وهذا من بين الأسباب التي جعلت الناس لا تزال تقبل على الطب الشعبي بكل أنواعه، ويستعينون به خاصة في علاج الأمراض المستعصية والمزمنة.

---

[179] ــ المصدر السابق 278/3.

[180] ــ ابن أبي صبيعة ــ عيون الأنباء في طبقة الأطباء ــ تحقيق زيار رضا بيروت ــ 1965 ص 13.

وهذا الأمر كان شائعا في المجتمعات المتحضرة والمتخلفة ، بين الخاصة والعامة على حد سواء، و هو ما نلمسه في المتن الحكائي لألف ليلة وليلة، بالأخص مرض الجذام والعقم .

العقـــم :

إن مشكلة العقم وعدم الإنجاب هي من أكثر أسباب التعاسة والشقاء عند الأزواج ، حيث استرعت اهتمام المجتمعات البدائية التي اعتبرتها غضبا إلهيا يحل ببعض الأزواج .أما عن العلاجات التي سادت تلك الحقبة ، فقد كانت أشبه بطقوس وممارسات سحرية غايتها التودد إلى الآلهة قصد تجنب غضبها.

ففي حكاية (سيف الملوك)، نجد ملك مصر (عاصم بن صفوان) يصف حاله لوزيره (فارس) بأنه طعن في السن ولا وارث يرثه فخاف على ملكه أن يأخذه الغرباء من بعده ، وكان الوزير يعاني من المعضلة نفسها، وهما مجوسيان يعبدان الشمس والنار فذكر الوزير للملك ((إني سمعت بخبر سليمان بن داوود عليه السلام أن له ربا قادرا على كل شيء فينبغي أن أتوجه إليه بهدية وأقصده في أن يسأل ربه لعله يرزق كل واحد منا بولد))[181]، فتوجه الوزير إلى النبي سليمان بهدايا ثمينة فذكر له وصفة علاجية جاء فيها ((إذا اجتمعت والملك (عاصم) اذهبا إلى الشجرة الفلانية تجدان ثعبانين يخرج أحدهما رأسه كرأس القرد والثاني رأسه كرأس العفريت، فارمياهما بالنشاب، واقتلهما ثم ارميا من جهة رأسيهما قدر شبر واحد ومن جهة ذيلهما كذلك فتبقى لحومها فاطبخاهما واتقنا طبخهما و

[181] ــ ألف ليلة وليلة 194/4.

زوجاتكما وناما معهما تلك الليلـــة فإنهمـــا تحمـــلان بـــإذن الله تعـــالى أولادا ذكور))[182] .

يبدو مما سبق ذكره أن المجوسيين كانا يعتقدان اعتقـــادا جازمـــاً بضعـــف معبوداتهما (النار) وعدم قدرتها على دفع الأذى أو جلب الخير لعابديها هذا مـــن ناحية ، ومن ناحية ثانية يصف النبي العلاج للوزير (فارس) وملكـــه (عـــاصم) اللذين كان يعانيان مرارة العقم ويتحرقان شوقا وألما من أجل إنجاب طفل يـــروي عطشهما ويبدد وحدتها ويحقق أملهما.

يجعل النبي سليمان العلاج لحم أفعى تخرج من أصل شجرة ، حيث للشجرة قيمة خاصة في المجتمع البدائي والزراعي ، فهي ((تجسد التجربة الدائمـــة لتجـــدد العالم وانبعاثه))[183] و ترمز إلى الحياة تارة وإلى الحكمة والخلود تارة أخرى. أمـــا الأفعى فهي رمز الخصب منذ القدم لأنها تنبثق من الأرض في كل ربيع مع تجـــدد النباتات لذا ((كانت الحية في أكثر الحالات خيراً للأرض والنباتات النافعة الأخرى التي تغطي الأرض، فهي مرتبطة ببعث الحياة))[184] وتجددها .وهي بالنسبة للملـــك وزيره تعني إنجاب ولد ذكر يرث الملك ويحفظ للأب استمرار يته في عقبه.

إن هذين العقيمين كما ذكر في آخر الحكاية ، قد رزقا بولدين ذكرين مثـل ما تمنيا وأراد لهما النبي (سليمان) و لم يتحقق لهما ذلك إلا بعد أن أكلا من لحـــم الحيّة وتخليهما عن عبادة النار واعتناقهما الإسلام الذي يعد عنصـــرا أساســـيا في

---

[182] ـــ المصدر السابق /199

[183] ـــ ينظر : خليل أحمد خليل ـــ مضمون الأسطورة في الفكر العربي ط 3 بيروت 1986 ص 55.

[184]- BESTAIRE FABULEUX : Jean Paul Clebert – Edition Albin Michel Paris 1971 p361.

تأطير هيكل الحكاية العام ، مع قصة النبي زكرياء عليه السلام الذي ضعف عظمه وخارت قوته ولا وريث يحفظ له بقاءه في قومه[185].

أما في حكاية (بلوقيا) نجد الملك (طيغموس) حاكم بلاد (كابل) لم يكن له هو الآخر ولدا ذكرا يخلفه في ملكه بعد موته ((فطلب العلمـــــاء والمنجمـــين والحكماء ، وأرباب المعرفة والتقويم يوما من الأيام وقال لهم ((انظروا طـــــالعي ، وهل يرزقني الله في عمري ولدا ذكرا فيخلفني في ملكي))[186] فنظر المنجمون طالعه من الكواكب وذكروا له أنه سوف يرزق في بقية عمره ولدا ذكرا.

ولهذه الحكاية ما يماثلها في الأساطير العربية ((إن هرمز ملك الفرس كـــان عقيما، ولكن السحرة ما زالوا به حتى حملت إحدى نسائه، فستبشر [خيرا] وأمـــر بعقد التاج على بطن تلك المرأة))[187]. يظهر حرص الملوك في إنجـــاب الذكـــور للحفاظ على الملك واستمرارية في أبنائهم لا في بناتهم تماشيا مع الذهنية الشـــعبية التي تصور عدم كفاية المرأة وضعف قدرتها في تسيير دوالب الدولة من جهة ، ومن جهة ثانية نجد شهرزاد تلفت انتباه زوجها الملك (شهريار) إلى أهمية الإنجـــاب في الحفاظ على ملكه واستمرار يته في نسله مثل أقرانه الملوك . كما تبرز لنا الحكايتين أيضا التباين في العادات والمعتقدات بين الشخصيات فالملك (عاصم) على الرغم

من مجوسيته لجأ إلى النبي سليمان وتوسل إليه بالهبات والعطايا ليدعو ربه أن يرزقه ولدا ذكرا، أما الملك (طيغموس) فقد اعتمد على المنجمين لينظروا طالعه من الكواكب وهل يرزق بولد ذكر في بقية عمره

---

185 ــ قال تعالى : ((رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)) سورة مريم 2 ــ 6

186 ــ ألف ليلة وليلة 314/3.

187 ــ أحمد كمال زكي : الأساطير ــ دراسة حضارية مقارنة ــ بيروت ط2 1979 ص 101.

الجذام *:

احتلت الحية مكانة هامة في ألف ليلة وليلة لصلتها المباشرة بالسحر، ففي حكاية (حاسب كريم) كان الأداة العلاجية الوحيدة للملك (كرزدان) الذي أشرف على الموت من شدة الجذام الذي أصاب جسده. فعرف وزيره (شمهور) من كتبه السحرية أن شفاء الملك من الجذام لا يكون إلا إذا أكل من لحم ملكة الحيات التي تجتمع برجل يمكث عندها منذ سنتين. فإذا دخل الحمام تسود بطنه ، بهذه العلامة تعرف بواسطتها الوزير الساحر على (حاسب كريم الدين)، الذي كان قد اجتمع بالحية وأطلعه على مكانها فأحرق البخور وتلا العزائم فخرجت الحية من جحرها في هيئة عظيمة وهي تتكلم بأفصح لسان حيث وبخت (حاسب كريم الدين) ((أين العهد من أنك لا تدخل الحمام ، ولكن لا تنفع الحيلة في القدر وبهذا حكم الله وأراد أن أقتل أنا ويشفي الملك من مرضه))[188].

ظهرت أهمية الحية في شفاء الملك (كرزدان) بعد أن عجز أمهر الأطباء في علاجه، وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن (حاسب كريم الدين) من معالجته إلا بعد أن شرب من مرق لحم الحية، طبقا لوصيتها فتفجر قلبه بالحكمة وصار على دراية بعلم الطب والتنجيم ثم أقبل على معالجة الملك وأطعمه من لحمها وسقاه بمرقها ((فَقَبَّ جلد الملك و انقشر جميعه فعند ذلك عرق الملك حتى جرى العرق من رأسه إلى قدمه وتعافى وما بقي في جسده شيء من الأمراض ... فصار جسمه مثل

---

* ــ يعد من الأمراض الجلدية وهو ضرب من البرص يظهر في أطراف الجسم وقد يمتد إلى الوجه في شكل بقع حمراء منتنة ، كانت هذه العلة منتشرة في أوروبا في العصور الوسطى. ينظر بطرس البستاني ــ دائرة المعارف 413/6.

[188] ــ ألف ليلة وليلة 381/3.

قضيب الفضة وعادا لما كان عليه من الصحة وردت له العافية أحسن مما كـــانت أولا))[189].

إن تصبب جسد الملك بالعرق وانقشار جلده، يماثل ما يقع للحية عنـــد ســـلخها لجلدها وما يصاحب ذلك من إفرازات يفرزها جلدها الجديد الذي لم يكن قـــد تصلب بعد. ومن جهة أخرى فإن تشبيه جلد الملك بعد شفائه بقضيـــب الفضـــة يتطابق مع ما يحدث لجلد الحية الجديد، حيث يكون ((ناصع البياض لبرهة قصيرة ليس فيها علامات أو أثار لحديث الزمن أو سنيه))[190] .

وبحصول الملك على العافية وتجدد شبابه تكون الأفعى قد نزعـــت عنـــها الخلود والحياة والمعرفة ومنحتهما للإنسان بإرادتها لأنها، كانت تدرك ذلك حيـــث قدّر لها أن تموت ويشفى الملك.

يروى ابن خلكان ((في الغرض ذاته لاتباعه أحوال عجيبة في أكل لحـــوم الحيات))[191]. لعل عجبها يكمن في مفعول لحمها و أثره في التغلب على الأمـــراض المستعصية وإزالة ما يصيب جسم الإنسان من الأوصاب الخطيرة كالعقم والجذام.

يقدم (أندرو ماخس) دليلا على أهمية لحوم الأفاعي في معالجة الحـــالات الشديدة والأمراض العتيقة في الأبدان، حيث يذكر ((أنه كان له فلاحون يحرثـــون أرضه، ويحمل الزاد والشراب فوقعت أفعى في الماء فأمسكوا عن الشراب وقالوا إن في هذه القرية رجلا مجذوما يتمنى الموت من شدة بأسه فنسقيه من هذا الشـــراب

---

[189] ـــ ألف ليلة وليلة 385/3.

[190] ـــ شريف بدوسي عبد القادر : الاغتراب في ألف ليلة وليلة ـــ معهد الثقافة الشعبية ـــ رسالة ماجستير جامعة تلمسان 1997 مخطوط ص 141.

[191] ـــ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ـــ بيروت ط 3 1980 ص 160/9.

ليموت فسقوه فشفى وعاش دهرا طويلا))[192] .فصدقت نيتهم حيث أرادوا إراحته من المرض بالموت، فمنحته الأفعى الحياة والبقاء.

البرص :

في حكاية الوزير (يونان والحكيم روبان) نجد ملك الفـــرس يصـــاب في جسده بالبرص، وفشل الأطباء في شفائه، فدخل المدينة حكيم يدعى (روبـــان) عارفا بعلم الطب والنجوم ، عالما بأصول الحكمة وبخواص النباتات والأعشـــاب المضرة والنافعة، مشهوراً بثقافته الواسعة وبمهارته الفنية في الأعمال السحرية ، فعلم بما أصابه في بدنه، فدخل عليه (يونان) وحدثه بقوله : بلغني أيها الملـــك ((مـــا اعتراك في هذا الذي في جسدك وإن كثيراً من الأطباء لم يعملوا الحيلة في زوالـــه وهاأنا أداويك أيها الملك ولا أسقيك دواء ولا أدهنك بدهن، فتعجب الملك مـــن كلام الطبيب وقال له : والله إن أبرأتني أغنيك لولد الولد وأنعم عليك كـــل مـــا تتمناه فهو لك وتكون نديمي وحبيبي))[193] .

إن الطبيب كان واثقا في نفسه في معالجة الملك دون أن يسقيه بعقاقير طبية أو يدهن جسمه بدهن مثل ما هو متعارف عليه. وآخذ على الأطباء الذين سـبقوه وعجزوا في إشفاء الملك، لأنهم اعتمدوا على تجاربهم الخاصة و لم يعملوا الحيلـــة في إزالة ما أصاب جسم الملك من البرص، ولعل الحيلة المقصودة هنا الاعتماد علـــى الممارسات السحرية، حيث صنع الطبيب (يونان) صولجانـــا وجوّفـــه ثم مـــلأه بمسحوق سحري، ثم دعا الملك أن يمسكه بشدة، ثم أمره ((أضرب الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء في سائر جسدك، ثم أرجـــع إلى قصـــرك

---

[192] ـــ ابن أبي صبيعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـــ تحقيق يزار رضا بيوت 1965 ص 22.

[193] ـــ ألف ليلة وليلة 19/1.

وأدخل الحمام واغتسل فإنك قد برئت))[194]. و هكذا نجح الحكيم في معالجة الملك دون أن يمسه ففرح الملك أشد الفرح بشفائه وكافأ الطبيب وضمه إلى حاشيته، وجعله من خاصته فأثار بذلك حفيظة الوزير الأكبر، و لم يتحمل أن يبقى في الظل بسبب هذا الطبيب، فحاول مدفوعا بغيرته أن يجعله محل ريبة عند الملك ونصحه بقتله، فأمر الملك بقطع رأس الطبيب، فتعجب هذا الأخير . ولما تحقق من موته، قال: رجائي أيها الملك ((أمهلني حتى أنزل داري وأوصي أهلي أن يدفنوني وأهب كتب الطب وعندي كتابا خاصا أهبه لك هدية وأقل ما فيه من الأسرار إن قطعت رأسي، وفتحته تقرأ ثلاثة أسطر من الصحيفة التي على يسارك فإن الرأس تكلمك وتجاوبك عن كل ما سألتها))[195].

يصور هذا المشهد الأسطوري جواً من الرهبة تبدو الحياة فيه فسحة زمنية بين موتين ، ويكشف سر إرادة القوة الغيبية الكامنة وراء هذا الحدث العجيب مبرزا وجوب رجوع الإنسان إلى قوة الكائنات العليا ليحقق المعجزات الخارقة فتستمر حياة القتيل في رأسه المقطوع. ومرجعية هذه الحكاية كما أتصورها تتمثل في قصة مقتل يحي بن زكرياء على يد الملك (هيردوس) بعث إليه فأتى برأس يتكلم[196] .

ويرمز المشهدين إلى شيء واحد هو العودة من الموت للإدلاء بشهادة أو كشف أسرار غيبية، كما توهم الملك (يونان) غير أن الحكيم (روبان) تمكن بقوته السحرية أن يرغم الملك على الانتقال إلى عالم اللاوجود بمجرد لمس الكتاب وتصفح أوراقه السحرية.

---

[194] ــ المصدر السابق 20/1.

[195] ــ المصدر السابق 26/1.

[196] ــ ينظر أحمد خليل ــ مضمون الأسطورة في الفكر العربي ط 3 1986 ص 86.

نستنتج من كل هذا أن الشخصيات الحكائية السالفة الذكـــر ، ظـهرت عاجزة عن دفع ما ألم بها من ضرر فالملك (يونان) راح ضحية شـــطط وزيـــره، والوزير (شمهور) ولولا موته لما تفجر قلب (حاسب) بالحكمة والطب وعلاجـــه الملك (كرزدان) الذي تأسف على موت وزيره دون أن يدري ما كان يخفيه له.

وشخصية الأفعى استسلمت للقضاء والقدر كـــان بإمكانهـــا أن تقتـــل (حاسب)، و لم تأخذ عليه المواعيد في عدم دخوله الحمام، وإن الشفاء من الأمراض لا يتم إلا بالسعي الحثيث والعمل الدؤوب وقد يكون بتسخير القوى الخارقة.

وفي حكاية (حسن البصري) تقدم شهرزاد علاجا آخر لمـــرض الـــبرص والجذام، ومردّه إلى مياه الجارية حول قصر سحري كان قد أنشأه عفريت وهـــو منقطع لا يصل إليه أحد من الجن أو الأنس، يذكر السارد ((حوله ماء أحلى مـــن الشهد وأبرد من الثلج، ما شرب منه أحد به برص أو جذام أو غيرهما إلا عوفي من وقته وساعته))[197].

والشفاء بالماء من الجذام مرده إلى قصة سيدنا أيوب لما ابتلاه الله بهذا المـرض وشق عليه السقم، أوحى الله[198] إليه أن يركض الأرض برجله فبعث إليـــه مـــاء فاغتسل وشرب منه، فلم يبق من دائه شيء، وعاد صحيحا كما كان.

والشيء الذي يمكننا أن نستنتجه أن الحاكي قد استقى الإطار العام لهـــذه الحكايات من القصص الدينية المقدسة، وقدمتها (شهرزاد) للملك (شـــهريار) على سبيل الإتعاض والاعتبار.

---

[197] ـــ ألف ليلة وليلة 273/4.

[198] قال تعالى : ((وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ)) سورة ص الآية 41-42.

6 – البحث عن الكنوز:

إن حب المال وشوق البشرية إليه مسألة فطرية في الإنسان وهي قديمة قدم الإنسان ، تحدثت عنها الأساطير والكتب السماوية[199] يشتد هذا الشوق عند الطبقات الشعبية الأكثر حرمانا التي ربطت انفراج أوضاعها بالأحلام، وتصورت هذا الفرج في صور خارقة بعيدة عن واقع الحياة الذي لم تر منه إلا الوجه المظلم. فصار طبيعيا أن يتحول هذا الحرمان إلى البحث عن الكنوز والإلحاح في طلبها، هو الباعث الأساسي في التفتيش والبحث عنها، التي نشأت نشأة شعبية في طبيعتها، وقد تظل شعبية ولا تمس الأمم التي يقل فيها الحرمان إلا لماما.

لا يمكن العثور على الكنوز واستخراجها في المخيلة الشعبية ، إلا عن طريق السحر، بمختلف سبله و وفق طقوس سحرية معينة كقراءة التعاويذ و التعازيم وإحراق البخور بغية السيطرة على الجن التي عادة ما تسخر لحراسة الكنوز المرصودة، والتي لا يمكن فتحها أبدا من غير العثور على الشخص المرصودة باسمه، مهما كانت قوة الساحر وقدرته على حل رموز الكنوز وإبطال أرصادها وامتلاكه قوة السيطرة على الجن.

وعلى خلاف الطريقة السابقة يمكن العثور على الكنوز بطريقة عفوية أو على سبيل المصادفة العجيبة دون اختلاق مفاتيح سحرية قادرة على تحقيق الهدف، وقد تغدق الجن على الفقير فتخرج له الأموال الطائلة لتخرجه من الضيق المادي إلى فضاء الثراء والجاه.

---

[199] ـ قال تعالى :(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) سورة الفجر الآية رقم 20.

يكاد الأمر لا يختلف فتيلا في هذه الحالات عن حكايات ألف ليلة وليلة التي جاء بعضها معبراً عن واقع حياة الطبقات الشعبية المحرومة الهاربة من واقعها المـــر والمتطلعة إلى عالم أوسع حيث الثروة والملك والجاه، الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الكنوز.

ففي حكاية (جودر الصياد) يرتبط استخراج الكنوز بالسحر ارتباطا وثيقـا، حيث يضرب الساحر (الكهين الأبطن) تقويما في التنجيم، للشيخ عبـد الصمـد فيرى أن كتر (الشمردل) بأرض المغرب. لا يفتح إلا على يد غلام مصري اسمـه (جودر) والاجتماع به يكون عند بحيرة قارون، فانتقل (عبد الصمد) إلى مصـر ليحدثه قائلا : ((أعلم يا (جودر) أن فتح هذا الكتر لا يكون إلا على يدك فـهل تطاوعني وتروح معي إلى مدينة فاس و مكناس، وتفتح الكتر، وأعطيك ما تطلب... وترجع إلى عيالك مجبور القلب))[200].

فالعلاقة بين مدن مصر وفاس و مكناس في المخيلة الشـعبية قائمـة علـى الاشتراك في الموروث السحري ، فمصر مرتبطة تاريخيا بالسحر والسحرة، وارتباط شخصية (قارون) بـ (جودر الصياد) وموضوع الكتر. له وقع خاص في المخيلـة الشعبية أيضا لارتباط السحر بالموروث المقدس من حيث الثروة والتسلط والتجـبر، فـ(قارون) بغى وطغى على قومه بكثرة ماله وولده[201]. أما (جودر) الصياد فكان رجلا فقيرا لا يملك قوت يومه، غير أن الثراء الذي سـيتحصل عليـه بالسـحر سيرفعه في نهاية الحكاية إلى مصاف الملوك المتجبرين مثلما تجبر (قـارون) بالمـال الذي تحصل عليه بالسحر. إن الكتر بأرض المغرب مرصود باسم الغلام المصـري

---

[200] ـ ألف ليلة وليلة 66/4.

[201] ـ قال تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِيحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ، إِذْ قَالَ لَـهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ـ إلى قال : إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي)) سورة القصص الآيات 76-77-78.

ولا يفتح إلا به وهذا هو السر في انتقال الساحر المغربي الشيخ (عبد الصمد) إلى مصر واسترضائه بعبارات التملق واستمالته بالحلل الفاخرة وتقديم له ما لذّ وطاب من ألوان الطعام والشراب من جرابه السحري، وإغرائه بالأموال وهذا ما يتضح من الكلام الذي حدثه به (ترجع إلى عيالك مجبور القلب)[202] وجبر قلوب الفقراء لا يكون إلا بالمال وهذا الكتر لا يفتح إلا وفق طقوس وممارسات سحرية معينة يجب أن تتم.

من أجل ذلك أخذ المغربي الشيخ (عبد الصمد) يتلو العزائم ويحرق البخور حتى جف ماء النهر، وظهر له باب الكتر عليه حلقتين من المعدن، والحلقة لها شأنها في السحر عند معظم الشعوب وهي كثيرة الظهور في الأبواب السحرية.

تحتم على (جودر) للوصول إلى الكتر أن يسلك طريقا محفوفا بالمكاره والمخاطر الخارقة والعجيبة ويقتحم الأهوال والصعاب، ليبطل أرصاد الأبواب السبعة المانعة، ثم تظهر له امرأة في صفة أمه كعقبة كأداء ، وهو مأمور أن تكشف له عورتها، ويمتهن كرامتها ليعبر إلى الكتر، ثم تتحايل عليه لتفشل محاولته الأولى عندما تستجديه ((يا ولدي هل قبلك من حجر فتفضحني بكشف عورتي أما هذا حرام فقال لها صدقت فلا تخلعي اللباس، فلما نطق بهذه الكلمة صاحت، وقالت: قد غلط فاضربوه))[203] فيضرب (جودر) من طرف الجن حراس الكتر، ويرمي خارجه وتغلق الأبواب، ويجري ماء النهر من جديد ، لأنه لم يلتزم بشروط الطقس (عدم الكلام) ، فخرق المحظور ناطقا بكلمة صدقت، ((والكلمة عند (غوته) هي (السحر الحقيقي)، خاصة إذا رفقها تنبيه بأسلوب عاقل حكيم))[204].

---

[202] ــ ألف ليلة وليلة 66/4.

[203] ــ المصدر السابق 73/4.

[204] ــ ينظر : كاترين ممسن غوته : ألف ليلة وليلة – ترجمة ــ أحمد الحمو ــ دمشق 1980 ص 308.

لأنه ينبغي على الإنسان إذا أراد (أن يستخرج الكنز أن يعمل بصمت ولا يتكلم كلمة واحدة مهما كانت درجة المخاطر والمغريات)[205].

هذا الكنز كان مرصودا باسم (جودر)، أما إذا لم يكن مرصودا باسمه، فالموت كان يترصده عند أول محاولة على يد الجن خدام الكنز، فاحتاج (جودر) إلى تجربة أخرى حتى يتفوق على سماع وعتاب المرأة فيحذره الساحر الشيخ "عبد الصمد" ((احفظ روحك، و لا تظن أن المرأة أمك، و إنما هي رصدة "الجنية" في صورة أمك و مرادها أن تغلطك و إن كنت أول مرة طلعت حيا فإنك في هذه المرة إن غلطت يرموك قتيلا))[206]، فوجد نفسه أمام حلين على حدي نقيض، إما الموت المؤكد و ترك عائلته "أمه و إخوانه" تحت وطأة الجوع و الحرمان، و إما الثراء والخروج من عالم الفقر و الولوج إلى المال و الجاه، فتشجع في هذه المرة و لم يخدع بكلام المرأة، فجردها من لباسها، و كشف عورتها فصارت شبحا بلا روح. وعندها تمكن (جودر) من العبور إلى قبر (الكهين) المسجى على سرير من الذهب متقلدا السيف والخاتم ودائرة الفلك والمكحلة، فأخذ هذه الوسائل السحرية وخرج بها إلى الساحر المغربي الشيخ (عبد الصمد) فأبطل العزيمة والبخور فحضنه وسلم عليه وأكد له ((أنت فارقت أهلك وبلادك من أجلنا وقضيت حاجتنا وصار لك علينا أمنية فتمن ما تطلب فإن الله تعالى أعطاني وأنت السبب))[207] . فتمن جودر أن يعطيه الجراب السحري لأنه لم يكن يفكر إلا فيما كان يشغل خاطره وهو الأكل، ليخرج من الجراب ما يشاء من الطعام والشراب بألوانه الفاخرة التي كان يشتهيها ومن أجلها ركب الأخطار والمشاق في

---

205 ـــ كاترين ممسن نفس المرجع ص 227.

206 ـ ألف ليلة وليلة4/74.

207 ـــ المصدر السابق 4/75.

رحلة ميثولوجيا من مصر إلى المغرب . غير أن الساحر المغربي الشيخ (عبد الصمد) قاسمه الذهب والجواهر وسخر له (مارد) ليسافر إلى مصر.

الشيء نفسه قام به الحاكم (بأمر الله) مع (وردان الجزار) في الكنز المنسوب إليه ـ كما سيأتي في حكاية (الأمير قمر الزمان مع الفلاح الخولي).

وهذا عكس ما قام به الساحر المجوسي مع (حسن البصري)، حيث نقله من البصرة إلى جبل السحاب ليحضر له الإكسير، المادة التي يحول بها النحاس إلى الذهب، ثم مكر به وسلب حصته من الذهب ليتركه على قمة الجبل، ثم وبخه ((يا مخنث قد انقضت الحاجة التي أردتها منك))[208]. من هذا نتبين كره المجوس للمسلمين.

يبقى أن نشير أن الأشباح التي ذكرها السارد في حكاية (جودر الصياد) هي أرواح الأموات ((ينظر إليها البدائيون على أنها معادية للبشر الأحياء والقريب الميت لا يبقى قريبا، بل ينقلب غريبا والأم المتوفاة لم تعد أماً))[209]. غير أن الأم الحقيقية (لجودر) لم تكن متوفاة ، والتي اعترضت طريقه وحالت بينه وبين الكنز، تكون جنية شريرة مكلفة بحراسة هذا الكنز، وتنكرت في صفة الأم.

وفي حكاية (وردان الجزار) نجد امرأة مولعة بالنكاح فاتخذت دبا زوجا، وخبأته في مكان مهجور في أحد البساتين، وظلت تأتيه ليلا ونهارا وهو منشغل بالأكل والشرب والجماع، ولم تزل كذلك حتى اكتشف أمرها (وردان الجزار) فذبح الدب، فصرخت ((أي شيء أحب إليك أن تسمع الذي أقوله لك ويكون ذلك سببا لسلامتك وغناك إلى آخر الدهر أو تخالفني ويكون ذلك سببا لهلاكك ...

---

[208] ـ ألف ليلة وليلة 271/4.

[209] ـ بوعلي ياسين : الدين والعصبية في حكاية شهرزاد ـ مجلة الدراسات العربية ـ ع ربيع 1984 ص 83.

فقالت اذبحني كما ذبحت هذا الدب، وخذ من هذا الكنز حاجتك وتوجه إلى حال سبيلك))[210].

فيظهر من خلال ذلك أن (وردان) كان مجبراً على ذبح المرأة لأن عـــدم ذبحها يؤدي به إلى الهلاك والموت المحقق، وذبحها يكون ضمانا لسلامته وعبوره إلى الكنز المتوقف على جريان الدم، الذي هو طقس سحري يقدم لإرضاء الجـــن في المفهوم الشعبي وفي الثقافة الميثولوجيا.

فاستجاب (وردان) للمرأة وذبحها وأخذ من الكنز ما استطاع حمله، وهو في طريقه، اعترض سبيله (الخليفة الحاكم بأمر الله) وطمأنه بأن لا ينازعه أحد في ماله، وأرجعه إلى الكنز ليؤكد له أن لا أحد ((يقدر أن يفتحه غيرك فإنه مرصود باسمك وصفاتك))[211].

فيبرز من وراء هذا الانحراف الجنسي أن الكنز كان معروفا عند الحاكم بأمر الله ، ولكنه لا يستطيع أن يفتحه، ويستخرج ما فيه من الأموال لأنه مرصود باسم (وردان) وصفاتهو فك الرصد و العبور إلى الكنز كان متوقفا على ذبح الـــدب والمرأة التي فضلت الموت داخل فضاءات الدهليز المثقل بنفائس الجواهر وذخـــائر الأموال والمشبع بالدلالات النفسية، حيث لم يعد للزمان ولا للمكـــان قيمـــة لأن الدب ((كان هو الحلم والمنى والحاضر والمستقبل والخيط الذي يصلـــها بالعـــالم الخارجي وبموته فقد العيش مشروعيته))[212]. فالمرأة العشيقة شعرت بمرارة الحيـــاة وتعاستها بعد عشيقها (الدب)، إذ صرحت ((كيف أعيـــش بعـــده والله إن لم

---

[210] ـــ ألف ليلة وليلة 130/3.

[211] ـــ المصدر السابق 130/3.

[212] ـــ ينظر : محمد عبد الرحمان يونس : الجنس والسلطة في ألف ليلة وليلة ـــ بيروت ط 1 / 1998 ص 91.

تذبحني لا أتلفن روحك))[213]. غير أن الشيء الذي يمكن الوقوف عنـــده بتـــأن كيف يمكن لهذه المرأة أن تهدد جزازاً بإتلاف روحه إن لم يذبحها ويلحقها بعشيقها الدب.

يبدو أن هذه المرأة جنية، لكنها في صورة امرأة شاذة جنسياً. أما شـــخصية الدب ((تفيد الأساطير والخرافات الشعبية معنى ما تفيده كلمة جن))[214]. وتبعـــا لذلك فإن الجنية كانت مكلفة بحراسة الكنز لتمنع الحاكم بأمر الله من الوصـــول إليه. حيث ذكر منذ ((ما وضع هذا الكنز إلى أن قتل هذا الدب وهذه المرأة علـى يديك وهو عندي مؤرخ كنت أنتظر وقوعه))[215]. إذ لم يتمكن الخليفة من العبور إلى الكنز إلا بحضور (وردان) وذبحه للدب.

في حكاية (جودر) الصياد السالفة الذكر لم يتمكن الشيخ (عبد الصمـــد) كذلك من العبور إلى كنز (الشمردل) إلا بإحضار (جودر) الصيد مـــن مصـــر والذي لم يتمكن من إبطال الرصد السحري إلا بعد أن ظهر في صفـــة الشـــاذ جنسيا بكشفه لعورة أمه وهو مأمور بذلك وإن لم يفعل فإنه سوف يهلك نفســـه، ولن يصل إلى مبتغاه.

في حكاية مدينة النحاس نجد الملكة (ترمذين) مسجاة على ســـرير مـــن الذهب((رمز البقاء وهو سلطان المعادن))[216]، إذ تصرح ((من وصل إلى مدينتنا ودخلها وسهل الله عليه دخول مدينتنا، فليأخذ من المال ما يقدر عليه ولا يمس من فوق جسدي شيئا فإنه ستر لعورتي وجهازي من الدنيا فليتق الله ولا يسلب منـــه

---

213 ــ ألف ليلة وليلة 130/3.

214 ــ ينظر : صالح بن حمادي : دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية ــ تونس 1983 ص 140.

215 ــ ألف ليلة وليلة 131/3

216 ــ سامية حسن الساعاتي : السحر والمجتمع ــ دراسة نظرية وبحث ميداني ــ بيروت ط02 1983 ص41.

شيئا فيهلك نفسه))[217]. ومن ثم تجعل الملكة المال المعروض في المدينة مباحا لمن يتمكن من فك الأرصاد السحرية واجتياز الأسوار المانعة.

يظهر المحظور فيما على جسد الملكة، حيث تتوعد كل من سولت له نفسه تعرية جسدها وكشف عورتها بالهلاك، عندما هم الوزير (طالب) أخذ ما على الملكة من جواهر معتقدا أنها ميتة ، لقي حتفه. فظهر الرابط القوي بين التحذير والفعل لأنه انتهك المحظور بعد أن أزرى به الطمع .

للإشارة أن مدينة النحاس دخلها الأمير (موسى بن نصير) وعبر أسوارها العالية بعد أن أبطل عامله (الشيخ عبد الصمد) الأرصاد السحرية للجواري اللائى يحرسن الكنوز المعروضة في المدينة بتلاوة شيئا من كتاب الله، لأن السحر يبطل إذا ذكر الله لأنه من عمل الشيطان، فدخل عساكر (موسى بن نصير) المدينة وحملوا الجمال من تلك الأموال والمعادن، ثم أمرهم أن يغلقوا باب المدينة كما كان.

لكن هذه الأموال لم تغير شيئا من الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للأمير (موسى) بوصفه من الشخصيات المحظوظة عند الخليفة والغنية التي لا تفتقر إلى الأموال.

ينطبق الشيء نفسه على الخليفة (الحاكم بأمر الله). فالأموال التي استخرجها من كنز (وردان) لم تغير من وضعه شيئا. وهؤلاء لم يبذلوا الجهود و لم يمتشقوا الأسفار عكس (جودر) الصياد الذي اعترضته المصاعب في الوصول إلى الأموال الطائلة.

---

[217] ـــ الف ليلة وليلة 52/4.

غير أن الشيء الملاحظ على هذه الشخصيات، أن الحاكي أبعد عنها الأداة السحرية (الخاتم) ، بمعنى أنهم لم يتملكوها حتى تحفظ لهم تدفق الأموال من خلال الجان وجعلها في متناول (جودر) الذي أضناه الفقر وأنهك قواه ، وبيع في سوق النخاسة، كما تباع العبيد .و عندما فقد جرابه السحري أتاه الفرج وجمعه القدر بالساحر المغربي (الشيخ عبد الصمد) فيشفق لحاله، ويهديه الخاتم السحري الذي كان قد استحضره من كتر (الشمردل) فيوصيه ((احتفظ به فإنك تكيد به كيد أعدائك و لا تجهل مقدار هذا الخاتم))[218].

بهذا أصبح في متناول (جودر) ومقدوره أن يغير وضعه الاجتماعي بهذا الخاتم تماشيا مع الذهنية الشعبية التي عادة ما ترى أنه من امتلك الأداة السحرية وهو من الفئات الدنيا ، يتغير وضعه في أمد وجيز بفضل المردة المرصودة لخدمته.

تواكب شخصيات التجار في هذه الحكايات سمات أسطورية عجيبة تظهر التاجر كأنه ساحر عصره لأن جميع العلاقات الأسطورية تنتظم حول التجارة الطوباوية في الحكايات وتختفي عن العيون حقيقة المنظومة التجارية التي تتحرك جدليا متباينا حول الخسارة والربح. إلا أن ميزان الربح يبدو راجحا في جوّ هذه الحكايات لصالح التجار، لتدخل أشكال قوى غيبية تخدمهم، وتحمي مصالحهم دون طقوس وممارسات سحرية.

يجيء الثراء بعد مغامرات أسطورية شاقة وعجيبة تقوم بها الشخصيات الحكائية لعارض يلم بها وهذه المغامرات تنتهي إلى دنيا الكنوز والثراء وتكون في الغالب بمساعدة الجن ، كما نجد ذلك في حكاية (معروف الإسكافي)، الذي كان

---

[218] ـــ ينظر : ألف ليلة وليلة 84/4.

رجلا فقيرا يرقع الزرابي في مدينة مصر . فثارت زوجته (فاطمة) على نمط معيشته، فأضحت تلعنه وتفضحه أمام الناس فاستجاب له عفريت ونقله إلى مدينة (أختيان الختن) بذلك انتقل (معروف) إلى عالم جديد (الخيال) ليتوارى عالمه الواقعي (مصر) وتختفي معه شخصية (الإسكافي) ومعها عالم التعب والشقاء لتظهر حرفة التجارة ، حيث تظاهر (معروف) في عالمه الجديد بحيلة اهتدى إليها أنه من كبار الأثرياء وله حملة تجارية غائبة، فكان يستدين الأموال من التجار ويعطي للفقراء بشكل أثار حفيظة التجار فأنكر عليه أحدهم هذا السلوك، وتساءل عن كيفية تسديد الديون المتراكمة عليه، فأجابه (معروف) ((وما مقدار الستين ألف دينار لما تجيء الحملة أعطيهم إن شاءوا قماشا وإن شاءوا ذهبا أو فضة))[219].

فقد ترسخت قناعته بأنه من كبار التجار وأن له حملة تجارية كبيرة ينتظرها ليرد بها دين الدائنين، في حين إنه لا يملك شيئا سوى الكلام الأسطوري، فسمع ملك المدينة بسخاء معروف فطمع في ماله، فأخبر وزيره ((مرادي أن أعاشره وأتودد إليه حتى تأتي حملته ، والذي يأخذه منه هؤلاء التجار آخذه أنا، وأزوجه ابنتي وأضم ماله إلى مالي))[220] .

فتساوى بذلك في حب المال الغني والفقير، السيد والمسود إلا أن زوجة معروف الثانية ابنة الملك تمكنت بحيلة منها أن تعرف حقيقة زوجها المحتال الفقير والذي لا يملك شيئا ، و(لا يطلع على سر الرجل إلا زوجته) . هنا تظهر العقدة وتأخذ الحكاية مسارا جديدا.

---

[219] ـ ألف ليلة وليلة 401/4.

[220] ـ المصدر السابق 402/4.

تهدئ الزوجة من روع معروف وفزعه بقولها ((ولكنك صرت زوجي فأنا لا أفرط فيك))[221]. وبتدبير منها يخرج من المدينة تاركا وراءه عالمه الخيالي، فاهتدى في طريقه إلى فلاح عثر في حقله على خاتم في سرداب تحت الأرض بعد أن قام بمساعدة الفلاح في حرث الأرض، فدعك الخاتم فظهر له خادمه يكشف له عن حاله ويخبره عن المكان ((يا سيدي هذا المكان يقال له كنز شداد بن عاد... وأنا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه و لكنه نصيبك))[222]. فحّلت بذلك مشكلة معروف، حيث أمر العفريت أن ينقل له جميع الأموال التي في الكنز ولا يبقي منها شيئا إلى داره في البصرة فحقق له الجني مطلبه و ما كان يصبوا إليه من طموحات وأحلام ، و أصبح فعلا من كبار أثرياء التجار، فصار الخادم يحضر إليه كل ما يحتاجه من نفائس الأموال والجواهر والقماش ليواصل بذخه وسخاءه على الفقراء . وبذلك حملت الحكاية السحرية الكثير من الدلالات يمكن الإشارة إلى بعضها في :

إن الثراء لا يأتي الفقراء إلا بإسهام الجن والممارسات السحرية حسب اعتقاد العامة، فـ(معروف) لم يتمكن من الوصول إلى المال إلا بعد خروجه من عالمه الطوباوي والتخلي عن أحلام اليقظة والتخيلات التي لا تحل المشكلات والولوج إلى عالم الواقع الذي يجسده العمل الكفيل بحل المشكلات وهذا ما تحقق أثناء قيامه بحراثة الأرض.

والمشهد نفسه يحدث في حكاية (قمر الزمان) الذي كان يعمل سقاء بستان، فضرب الفأس في جذع شجرة فرنت الضربة، فهربت الجن التي كانت

---

221 ــ ألف ليلة وليلة 145/3

222 ــ المصدر السابق/409.

تحرس الكنز لأنها تخاف ضربات الفأس[223]. فانكشف التراب فظهرت لـــه قاعـــة مملوءة بالذهب من عهد ثمود، أما حكاية (أبي محمد الكسلان) فترسم لنا صـــورة أخرى للتاجر الذي كافأه القدر على كسله بأعظم الأرباح التي تتعدى كل وصف وكأن هذه الحكاية إعلان لشأن القدر الذي يمنح التاجر الكسلان أكبر المكافـآت عندما يتسلح بالقوى الخفية.

يستكشف الكسلان عن حاله للخليفة (هارون الرشـــيد) ((أني أعـــرف بالكسلان... وكنت أنا في صغري أكسل من يوجد على وجه الأرض... وكـــانت أمي تخدم الناس تطعمني وتسقني ... دخلت عليّ أمي في بعض الأيام ومعها خمســـة دراهم وقالت يا ولدي بلغني أن التاجر (أبا المظفر) عزم على أن يســـافر بـــلاد الصين... فسأله أن يشتري لك شيئا لعله يحصل لك فيه ربح من فضـــل الله))[224]. فاشترى له قرداً وبفضله اجتمع له مالا دون أن يبذل جهداً، لأن المـــارد الـــذي اشتري له وهو في صفة قرد كان يأتيه كل يوم بألف دينار.

غير أن هذا المارد اختطف زوجة الكسلان إلى عالم الجن ليحدث له بذلـــك تحولا في حياته المادية حيث تمكن و بطرق سحرية وبمساعدة الجن الخـــيّريين مـــن الوصول إلى زوجته، فأشارت إليه أن يأخذ الطلسم المتشكل في صـــورة عقـــاب وهو سر تفوق هذا المارد على أقرانه فعاد به إلى البصرة يذكر الكسلان ((بخـــوت صورة العقاب بالمسك وإذا بالعفاريت قد أقبلوا من كل مكان... فأمرهم أن ينقلـــوا كل ما في مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر إلى دار التي في البصرة))[225].

---

[223] ـــ ينظر : أحمد كمال زكي : الأساطير ـــ دراسة حضارية مقارنة ـــ ص 96.

[224] ـــ ألف ليلة وليلة 59/3.

[225] ـــ ألف ليلة وليلة /71.

تصور الحكاية إسهام القوى الخفية في تغيير شخصية الكسلان من رجل فقير إلى رجل عظيم الجاه والسلطان، حين أصبح من كبار التجار على الرغم من عدم ممارسته للتجارة البيع والشراء، لكنه لم يتحشم من أجل ذلك المتاعب والمصاعب في الانتقال إلى عالم الجن وحصوله على الطلسم الذي به خضعت له المردة وحققت له ما أراد.

وفي مقابل ذلك لم تقتصر مساعدة المردة على جنس الذكور، بل جعلت شهرزاد لبني جنسها أيضا حظا فيه، ففي حكاية (الحمال وبنات الثلاث). تسافر الصبية التاجرة في تجارة لها ، فساقها القدر إلى المدينة المسحورة فوقعت على قصر ملك من الملوك العظام فاستحوذت على أغلى وأنفس ما كان فيه من الذهب والمجوهرات ((دخلنا إلى الخزائن فأخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه))[226] . وهي تجارة لم تدع صاحبها للشقاء من أجل الثروة للتخطيط لاكتسابها ، وإن كانت هذه الأموال لم تغير شيئا من وضعها المالي بوصفها ثرية بالتوارث، ولم تفرح بها كثيرا، قدر فرحها بالشاب الوحيد الناجي من المسخ فقايضته بجميع أموالها حيث صرحت لأختيها ((يكفيني هذا الشاب وجميع هذه الأموال لكما))[227] رجاء اتخاذه زوجا لتغير من وضعها الاجتماعي، غير أن أختيها أضمرتا الشر وقامتا بإتلاف المركب التجاري، فتدخلت جنية من تلقاء نفسها لتنتقم للتاجرة، و تحمي مصالحها من الضياع، وتنقل جميع ما كان في المركب من أموال إلى بيت التاجرة دون أن ينقص منه شيئا.

إذا كان المال لم يغير من وضع التاجرة شيئا، فإنه في الحكايات السالفة الذكر، أسهم في تحويل الشخصيات الحكائية فـ(جودر الصياد ، معروف

---

[226] ــ المصدر السابق 75/1

[227] ــ المصدر السابق 75/1.

الإسكافي ، محمد الكسلان) تغييرا جذريا بوصولها إلى الكنوز ودنيا المال، فـــبرز الحرمان الذي كانت تعانيه هذه الفئات المحرومة . فذهبت إلى تحقيق ما كانت تحلم به في اليقظة، يذكر أبو محمد الكسلان للخليفة (هـــارون الرشـــيد) ((غرســـت البساتين واشتريت الأملاك والمماليك والعبيد والجواري))[228] . وفي مقـــام آخـــر يتزوج (حسن البصري) بالجنية (منار السنا) ويعود محملا بـــالذهب والفضـــة فتفرح الأم بولدها وتحثه على تغيير مقر سكناه من مدينة البصرة إلى مدينة بغـــداد عاصمة الخلافة لتليق بوضعه الجديد. فلما انتقل (حسن البصري) إلى العاصمـــة اشترى خدما وداراً كانت لبعض الوزراء، تليق بمهامه الجديدة، لأنـــه أصبـــح في مصاف الحكام.

أما (جودر) الصياد فقد كان عاجزا عن الحصول على قوت يومه، فيفـــوك خاتمه لتحضره المردة ملبية النداء، فيأمرها بتحويل كل ما في خزائن ملك مصـــر شمس الدولة الذي كان قد سجن أخويه (جودر)، وسلب منهما الجراب السحري فأصبح الملك مفلسا، ثم أمر (جودر) الخادم (المارد) أن يبتني له قصـــراً عاليـــا. ويفرشه فرشا فاخراً تحرسه المردة . فخاف الملك على نفسه فأرسل وزيره في طلب (جودر) : ((إن الملك قد عمل لك ضيافة فهل تجبر خـــاطره))[229] . فتعســـف (جودر) و لم يأت السلطان ، و طلب منه أن يأتيه هو ، فاستجاب الملك واستماله بأصهار بنته السيدة (آسيا)، وهكذا يسهم جمال بنت الملك في تعديل الكفة بعـــد أن اختل توازنها المادي.

فالثراء يزيل المحظور، ويلغي الفوارق الطبقية (قيمة المرء ما كسبت يمينـــه) فتتزوج العامة بالأميرات بعد أن أصبح الفقير ثرياً فارتقى اجتماعيا، وتربع علـــى

---

[228] ـــ المصدر السابق 63/3.

[229] ـــ المصدر السابق 94/4.

العرش كما تربع (جودر) على كرسي صهره الملك بعد وفاته، وكذلك (معروف الإسكافي) مرقع الزرابين أصبح سلطانا بعد وفاة صهره الملـــك هـــو أيضـــا لأن السلطة في ذهن العامة هي وفرة المال فإذا أثرى الفقير أصبح هو والسلطان سواء.

وخلاصة القول إن الكنوز في نظري العامة تنقض من الموت أولئك المحكـــوم عليهم اجتماعيا بالموت وتحقق التعادل بيت كفتي الميزان في مجتمع شـــهرزاد بـــين الحاكم والمحكوم.

تلك هي أهم الوظائف التي ارتبطت بحركية السحر في ســـيرورة أحداثـــها وارتباطاتها بالشخصيات الجنية و الإنسية و الأزمنة و الأمكنة الأســـطورية منـــها والجغرافية بهذا ينكشف لنا أن السحرة في ألف ليلة و ليلة بمختلف مشاربهم الجنسية و الدينية و القومية كانوا يلجأون إلى السحر بوصفه وسيلة لتحقيق عدة غايـــات يغلب عليها طابع الخير و النفع .

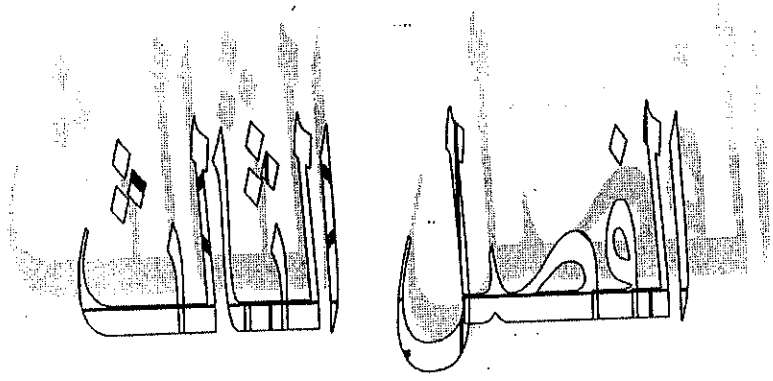
الفصل الثاني

البنية الفنية للسحر

1 – الشخصية

2 – الزمن

3 – المكان

1 ــ الشخصية :

تظهر الشخصية في ألف ليلة و ليلة في صور مختلفة ((متعددة الأهواء والمذاهب والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود))[230] وتتميز بالقدرة الخارقة على تحدي الصعاب، وتجاوز المحظور لبلوغ مسار الحدث المنظور، و كثيرا ما يقترن ظهورها بصراع الخير والشر .

و من أجل كشف تلك الصفات و الوقوف على أبعادها اختار البحث شخصيتين أساسيتين هما: شهريار وشهرزاد، حيث ينتقم الملك الساساني شهريار من زوجته الخائنة و جواريه بالقتل و لم يكتف بذلك بل حمّل كل النساء وزر زوجته، و هدد الجنس البشري بالفناء، فشرع في قتل كل بنت يتزوجها صباح ليلة عرسها، ظنًا أن فعله كفيل بوأد الخيانة الزوجية الملازمة للمرأة ، شفاء لجرحه العميق ، و قد أدى ذلك إلى هلع بين الرعية و باتوا يخفون بناتهم من شره.

و كان من نتائج ذاك الوضع المخيف والمأسوي، أن قررت شهرزاد ابنة وزير الملك الزواج من شهريار أن تنقذ البنات جنسها أو تموت دونهن، على الرغم من المعارضة الشديدة التي تلقتها من والدها الذي راح يحذرها من عواقبه ، لكنها أصرت على رأيها معلنة ((إما أن أعيش و إما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من يده))[231]، فأقدمت على المجازفة بنفسها حفاظا على جنسها. فكان الوزير الأب يحضر كل ليلة كفن ابنته تحت إبطيه و يذهب به إلى قصر الملك ليعود به في آخر النهار متوقعا أن يفجع في ابنته في الليلة القادمة ، لكن الثقافة العالية و الواسعة كذا النظرة الصائبة التي كانت تتمتع بها شهرزاد جعلتها تعرف

---

[230] ــ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة الكويت 1998ص 83

[231] – ألف ليلة و ليلة 1 /8

كيف تقاوم طغيان شهريار بأحاديثها العذبة، و قصصها السحرية ، حيث شرعت في قص مجموعة من الحكايات ، لا تتم الحكاية إلا في اليوم الموالي مما جعل الملك يؤجل قتلها ليلة بعد ليلة حتى يتاح له سماع بقية حكاياتها العجيبة.

و عادة ما تتوقف حكاياتها مع قدوم الصباح في موقف يثير الاستطلاع، وبذلك استطاعت أن تحفظ حياتها عند ملك ألف ليلة وليلة ،و من ثم تصبح الحكاية ((تساوي الحياة وغيابها يساوي الموت[232])). و الواقع أن الحكايات العجيبة هي وحدها الضامنة للحياة.

من أجل ذلك لم يظهر الملك سأما أو مللا من سماع الحكايات السحرية المشوقة على الرغم من أنه لم يكن يعرف ما تحفظه شهرزاد من حكايات، مما يتيح إمكانية استحداث شخصية ثانوية ممثلة بدنيا زاد (الأخت الصغرى لشهرزاد) التي قامت بدور الوسيط في الجمع بين الشخصيتين المحوريتين المتناقضتين حيث تطلب من أختها أن تقص الحكايات التي تحفظها ليعلم الملك بأمر شهرزاد ، فيأذن لها أن تسرد حكاياتها إلى الصباح ، وبذلك كانت الأخت الصغرى جزء ا مهما ومكملا للدور الذي قامت به شهرزاد التي استطاعت حكاياتها أن تقوم أخلاق شهريار، فيستعيد ثقته بالنساء، ويستبدل كرهه لهن بحبه لشهرزاد بعد أن تأكد من عفتها و صدق حبها .

إن نجاح شهرزاد مع شهريار هو نجاحها أيضا مع الملك " شاه زمان" الذي جعله السارد ظلا لأخيه و نسخة منه ،حيث عاش مرارة الخيانة الزوجية، إذ لو لم تنجح شهرزاد في دورها من خلال قصصها العجائبية لأقدمت على حلول أخرى طبقا لما عاهدت به نفسها، غير أن حلها يعزز قناعة " شاه زمان " بخيانة جميع النساء و ذلك ما يزيد الشر استفحالا .

---

[232] ــ بوعلي ياسين : حكايات شهرزاد الواقعية والغرائبية والوظيفة الاجتماعية ــ مجلة دراسات عربية ع 5 1981 ص 70.

الشخصيات الشريرة :

يتكرر موضوع الشر في كثير من الحكايات عند شهرزاد ، ففي الليلة الأولى تعد شخصية العفريت أساس الحكاية، بعد أن رمى أحد التجار نواة تمر عن غير قصد منه، فأودى بحياة أحد أبناء العفريت الذي فاجأه بحديثه ((قم أقتلك مثلما قتلت ولدي))[233]، حيث أراد أن يقتص منه جزاء على ما اقترفه بغير عمد، وفي هذا إشارة واضحة إلى براءة شهرزاد التي لم تلحق الأذى بأحد ، غير أن النية المبيتة " لشهريار " في قتلها تمثل قسوة أشد من قسوة العفريت مع التاجر الذي منحه يوما واحدا، غير أن فضول تتبع بقية الحكايات ، أحدث تغيرا طفيفا في موقفه وأجل موعد التنفيذ ، لكن الجني منح التاجر سنة كاملة كي يستطيع تدبير أموره قبل القصاص، بذلك تبدو شخصية الجني أكثر رأفة من شخصية الملك " شهريار " وعندما انتهت السنة أخذ الجني يستمهل التاجر ليستكمل سماع الحكايات العجيبة للشيوخ الثلاث، الذين التمسوا شفاعة دم التاجر من العفريت من أجل أن يقص عليه كل منهم حكايته و ما وقع له مع زوجته.

يتطابق بذلك الموقف الشرير مع قسوة الملك شهريار تجاه الجنس الأنثوي من خلال شهرزاد، أما الموقف المتسامح الذي أبداه حيال التاجر، فيتماثل مع التحول الذي ظهر في شخصية الملك شهريار تجاه شهرزاد بعد سماعه حكايات ألف ليلة وليلة السحرية وإعلانه ((أشهد الله إني قد عفوت عنك من كل شيء يضرك))[234].و هكذا تبدو الأسيقة السردية في ألف ليلة وليلة مرتبة ترتيبا فنيا ،

---

[233] ـ ألف ليلة وليلة : 8/1.

[234] ـ ألف ليلة وليلة 435/4.

يتماشى و الوظيفة الترفيهية له ، و ذلك بتجنب المشاهد الدموية التي من شأنها الحد من متعة القراءة.

يظهر بذلك أن الشخصية لم تبق ثابتة على صفة واحدة في هذه الحكاية، وإنما كانت تتأرجح بين الخير والشر لكي تحيا الصراع الدرامي للحكاية فالشخصيات لا تستطيع ((أن تفعل شيئا إلا أن تحيا، فإذا استمرت خيرة أوشريرة طبقا لتصميم معين فإنها تستوقف عن الحياة))[235].

شخصية هارون الرشيد :

وهي أكثر الشخصيات شيوعا و تأثيرا في القصص السحري في ألف ليلة وليلة ، و استحواذا على أهم الأدوار في الحكايات بوصفها رمزا للعدل والاستقامة، ،و غالبا ما يتنكر في صفة التاجر لتفقد أحوال رعيته ليلا، وبخاصة ((عند ما يضيق صدره أو يرغب في معرفة أحوال الحكام والولاة والتأكد من الشكاوي المرفوعة إليه ضدهم، فيطوف ليلا أرجاء مدينة بغداد في صحبة (جعفر البر مكي)))[236]، وكانت الرعية لا تعرف من أمره شيئا ، كما هو الشأن في حكاية الحمال و البنات ، حيث يدخل الخليفة مصحوبا بوزيره جعفر، دارا للسمر و المنادمة، يجد فيها ثلاث صبايا وثلاثة صعاليك عورا بالعين الشمال يتنادمون ويشربون ((فأتين للخليفة بشراب فقال أنا حاج و انعزل عنهم))[237].

يبدو أن السارد يكن لشخصية (هارون الرشيد) الاحترام والتقدير البالغين، حيث يخرجه من مجلس اللهو والسكر ليحفظ له سمعته و علو مقامه،

---

[235] ـــ عبد الفتاح عثمان : بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية ـــ القاهرة 1982 ص 111.

[236]- ANDRE CLOT : HAROUN AL-RACHID et le Temps des Mille et Une Nuits Edition Marinoor p75.

[237] - ألف ليلة و ليلة 1 / 43

احتراما للشعور العام لشخوص المتلقين التي تتره الخليفة عن الدنايا باعتباره رمـــزا للسلطة السياسية والدينية عند عامة المسلمين، وإن ((حال الرشـــيد في اجتنـــاب الخمر كانت معروفة عند بطانته وأهل مائدته))[238] .

الملاحظ أن الخليفة تعجب من الشخصيات الحاضرة في مجلس الصبية و مـــن أمرها في ضرب الكلبتين بالسياط، ثم تضمهما إلى صدرها و تمســـــح دموعـــهما فيضيق صدر الخليفة و لا يجرأ على تجاوز المحظور المتمثل في الشعار المكتوب علـــى باب الدار ((لا تتكلم فيما لا يعنيك حتى لا تسمع ما لا يرضيك))[239] .

إن شهرزاد كثيرا ما تصطنع التابو عائقا للشخصية المركزية في الحكاية لغايـة فنية من أجل إحداث عقدة في الحكاية لإطالتها أو تجديـــد أطوارهـــا وبإخفـــاء شخصيات وإبراز أخرى في أدوار متجددة ، حيث إن هؤلاء الصبايا عندما رفضن أن يفصحن عن حقيقتهن أزال جعفر البرمكي الغموض عن شـــخصية الخليفـــة ((أنتن بين يدي الخامس من بني العباس هارون الرشيد فلم لا تخبرنه الحـــق))[240] فتكتشف الصبية عن شخصية الكلبتين فهما أختاها سحرتهما عفريتة وأجبرتهـــا على ضربهما عقابا لهما، وسلمتها خصلة من شعرها بغية إحضارها عند الحاجـــة فيعمد الخليفة إلى حرق جزء من شعر العفريتة قصد إحضارها لتبطل السحر عـــن الصبيتين المسحورتين.

ومن ثم يقترن ظهور الخليفة هارون الرشيد بشـــخصية ســـحرية تمـــارس الشعوذة في إحضار الجن، في حين يتقمص في حكاية عذرة اليهودي وعلي المصري شخصية مغايرة تماما، إذ يمنع السحر ويعاقب السحرة فقد سأله علي المصـــري في صفة تنكرية لما أخبره عن قتل اليهودي الساحر ((ما ظننتك أنك قتلته لأنه كـــان

---

238 ـــ عبد الرحمن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ـــ بيروت ـــ 1983 29/1.

239 - ألف ليلة و ليلة 1 /42.

240 ـــ المصدر نفسه70/1.

ساحرا فقال له يا أمير المؤمنين قد قتلته))[241]، فأمر بحرق جثة اليهودي الساحر الماكر، بعد أن تأكد الخليفة من موته، فالشخصية هنا ((سخرت لإنجاز الحدث الذي وُكِّلَ إليها إنجازه))[242]، حيث ظهر الخليفة كشخصية متباينة الأدوار والمعتقد.

يبدو أن حرق اليهودي لم يكن لعرقه ، لأن شهرزاد في حكايتها تمجد اليهود وتجعلهم كسائر الشخصيات الصالحة ،فلا تفرق بينهم وبين المسلمين في مخافة الله، يظهر ذلك في حكاية بلوقيا اليهودي الذي عرف من كتب أبيه صفات النبي صلى الله عليه وسلم، فتعلق قلبه بمحبته، وترك من أجله ملك أبيه وهام على وجهه طالبا رؤية النبي أو الموت في أسفاره .

وإذا كان الأمر كذلك فالخليفة ظهر في شخصية السلطان المسلم ، حين حرق جثة اليهودي لممارسته السحر باعتباره محظورا في الديار الإسلامية ، وإن كان حرق جثث الموتى فعلا تمجه العقيدة الإسلامية، وترفضه وبذلك يكون اخترق محظور التعاليم الإسلامية. ولا يستبعد أن تكون الحكاية مستحضرة لمعتقدات هندية التي لا ترى حرجا في حرق جثث الموتى. لكن الملفت للانتباه أن الشخصيات في الليالي لا تتطابق مع الشخصيات التاريخية المقصودة، لأن غرض السارد يتمثل في إيهام المتلقي بحقيقة الحكاية وإثارة فضوله . وذلك بتطعيم الشخصيات التاريخية بالشخصية الخرافية.

---

[241] ـ ألف ليلة وليلة 185/4.

[242] ـ ينظر : عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ص 86.

الصعاليك الثلاثة :

سيكتفي البحث بعرض شخصيتي الصعلوك الثاني والثالث ، لما لهما من أهمية في أطوار الحكاية، وصلتهما المباشرة بالسحر وبالشخصيات الوهمية والأسطورية وبالعفاريت الخيرة والشريرة .

الصعلوك الثاني :

يبدو من خلال الحكاية أن تنشئة شخصية الصعلوك الثاني سلطوية، فهو ملك ابن ملك، له إلمام واسع بمختلف أنواع العلوم، فقد فاق أهل زمانه وذاع صيته في سائر البلدان ، فرغب ملك الهند أن يقربه ويجعله من حاشيته وخاصته وهو في طريقه إليه نزل في مدينة لا مكان فيها للعلم والعلماء إذ يذكر أحد ساكنيها ((ليس في مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال)) [243] ، بغياب العلم فقدت الشخصية مكانتها وعزها وشرفها وصارت ذليلة إذ تحول (الصعلوك الثاني) إلى حطاب يجمع الحطب، ودام على حاله سنة كاملة، إلى أن اهتدى إلى قصر تحت سطح الأرض، فنزل أدراجه حيث وجد صبية بديعة الحسن والجمال، فأخبرته عن حالها ((أعلم أني بنت ملك أقصى الهند، فاختطفني ليلة زفاف عفريت وطار بي إلى هذا المكان)) [244] . من ثم يختلق الصعلوك الثاني عائقا يحول دون وصوله إلى الهند، ليكون مستشارا لملكها، لكنه جمعه بطريقة عجيبة مع ابنة هذا ملك تحت سطح الأرض، وبذلك يضفي على الحكاية طابعا فنيا له صبغة سحرية مشوقة ، حيث يقتل العفريت الصبية، ويسحر الصعلوك في صفة قرد .

---

[243] ألف ليلة وليلة 1/55

[244] المصدر نفسه1/56

تعمد السارد عدم الإفصاح عن اسمه وبلده ، فتعجب من أدب القرد في الأكل وصفة الجلوس، و احترام الكبار ، وإقراضه للشعر وهو قرد ، فأدخله على ابنته على سبيل الفرجة فكشفت له الحقيقة ((أعلم أن هذا القرد ابن ملك وهو مسحور سحره العفريت (جرجيس) وهو رجل عالم عاقل .فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصي لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيري))[245].

تظهر قيمة شخصية (الصعلوك الثاني) في الصفة التي مسخ إليها، حيث ترغب الملوك في تقريبها من البلاط للاستفادة من رجاحة عقلها وكفاءتها العالية ، ومن جهة ثانية تبرز شخصية الملك في الطيبة وفي محبة الخير للناس، إذ يكلف ابنته لإزاحة الغبن اللاحق بالصعلوك. فيكون بذلك إيذان بظهور شخصية خارقة.

شخصية الأميرة الساحرة :

تستجيب الأميرة الساحرة لرغبة أبيها فتخلص القرد المسحور من سحره، وإرجاعه إلى شخصيته الأولى في صفة أمير عالم عاقل ذي هبة ووقار.

كما يبدو أنها تتمتع بقوى سحرية خارقة مذهلة تمكنها من التحول من حالة إلى أخرى، و قدرة على تقمص شخصيات متباينة، إنسية، ، حيوانية أو نباتية (حبة رمان)، غير أن هذه القدرة السحرية التي وظفها السارد ((ليصل بالمستمع إلى أقصى درجات الإشهاد والمبالغة المنسجمة للرسم هالات القداسة حول ابنة الملك))[246] تثير الاستغراب في المخيلة الشعبية ،التي لم تألف قدرة الإنسان على الظهور في شخصيات متباينة الجنس والنوع بطرق سحرية ، وإن كان قد أعد الذهنية بإشارة فنية ، حينما ذكرت الأميرة لأبيها ((إني احفظ وأتقن

---

[245] ألف ليلة وليلة 1/62

[246] ــ أحمد على آزاد : العمارة والمدينة في ألف ليلة وليلة ــ مجلة الوحدة ــ ع 70-71 الرباط ــ 1990 ص 90.

مائة وسبعين بابا من أبواب السحر))[247]. فالقوة السحرية جعلتها تستجيب لرغبة أبيها، من أجل ذلك خاضت معركة سحرية مثيرة مع العفريت في استعراض سحري مهيب أمام السلطان ورئيس خدم قصره ،والصعلوك الثاني المسحور ذاته، ولكي يضفي السارد صفة الواقعية على الحكاية، جعل الشخصيات، تتأهب لوقع المفاجأة وكأنها في قتال، حيث تشوه وجه السلطان واحترقت لحيته، كما احترق رئيس خدم القصر. أما الصعلوك الثاني وهو الشخصية المحورية في الحكاية فقد جعلها السارد شخصية ثانوية قابعة في الظل ضمن المتفرجين لكن على الرغم من ذلك فقد أحد عينه من خلال أثار النار السحرية التي كان الجني ينفثها على الحضور.

إن هذا القتال السحري لم تكن نهايته سعيدة ومع ذلك يمكن اعتباره انتصارا للأميرة الساحرة ،التي أهلكت نفسها من أجل سعادة غيرها، وهو في الوقت نفسه انتصار لشخصية شهرزاد التي أنذرت نفسها لسعادة البشرية.

ومن جهة ثانية يبدو التشابه متطابقا بين الشخصيتين الشريرتين، العفريت (جرجيس) الذي أضفى على الحكاية طابع الشر والقتل والخراب نتيجة لأعماله الشريرة، وبين شخصية الملك "شهريار" الذي كاد أن يفنى البشرية من خلال تحميله خطيئة إمراته لكل النساء بغيا وطغيانا ، وفي الحكاية نفسها يتجلى الشر أيضا في شخص الأختين الحقودتين اللتين حسدتا أختيهما التاجرة على ما وهبها الله من سعة المال ورزانة العقل وجرأة في العمل، حيث أقدمتا على رميها في البحر قصد التخلص منها ومن عشيقها، الذي عثرت عليه في المدينة المسحورة بوصفها شخصية طيبة نجت من المسخ الذي أصاب مملكة أبيه، إذ تذكر الصبية التاجرة

---

[247] ألف ليلة وليلة 1/62

((فلما رأتني أختاي ومعي ذلك الشاب حسدتاني، وصارتا في غيض، وأضمرتا المكر لي))[248].

الاعتقاد بالحسد قديم واسع الانتشار بين مختلف الشعوب، و إعزاء الحدث إلى الحسد ((يقدم تفسيرا خرافيا لا يحتاج إلى البحث و الاستقصاء عن الأسباب الحقيقية)).[249] تمثل حسد الأختين في إغراق مركب الشخصية المغمورة بحب الأسفار وركوب البحار، وموت عشيقها غرقا ، مع هذا الحادث المفجع تتوارى الشخصية التي لم تكن فاعلة وينتهي دورها في الحكاية ، وتبرز شخصية العفريتة المؤمنة في دور الخير والمنقذ لشخصية التاجرة ومواساتها لما أصابها إذ تنتقل بإرادتها إلى حيث وقوع الحادث لتنتقم للصبية التاجرة المفجعة في خطيبها وتسحر أختيها الشريرتين في صفة كلبتين ، وهذا دأب الجن المؤمن إذ يتميز بمواقفه الخيرة مع نظيره الإنسي في كثير من الحكايات.

شخصية العجوز :

تظهر العجوز في هذه الحكاية امرأة خيرة على الرغم من أنها غير فاعلة حيث اقتصر دورها في قصر السلطان المجوسي ، إذ عهد إليها بتربية ابنه فتعمل جهدها على تربيته وفق التعاليم الإسلامية دون علم أبيه ،حيث يذكر الشاب في شأن العجوز ((علمتني دين الإسلام ... وحفظتني القرآن فلما أتممت ذلك قالت لي يا ولدي أكتم هذا الأمر عن أبيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك ويقتلني... وقد ماتت العجوز وزاد أهل المدينة في كفرهم وعتوهم وضلالهم))[250].

---

248 ألف ليلة وليلة 75/1.

249 ـــ إبراهيم بدران وسلوى الخماش : دراسات في العقليات العربية ـــ بيروت ـــ ط 2 1979 ص 257/1.

250 ألف ليلة وليلة 1/74

شخصية الصعلوك الثالث :

لم يكن هو أيضا إلا ملكا من أسرة عريقة في السلطة والملك له مدينة تقع على البحر تحيط بها جزر محصنة فعندما همّ يوما أن يقوم بجولة استطلاعية في مملكته، نزل البحر في صحبة فرقة من جيشه فدفعتهم الريح إلى غير الاتجاه الذي كانوا يبتغون، فغرق أسطولهم، و لم ينج إلا الملك الذي صعد إلى قمة جبل ليستريح من مشاق السفر والغرق أيضا ، فتظهر له شخصية أسطورية سحرية ، حيث سمع الملك الناجي من الغرق هاتفا[254] يخاطبه ((يا ابن خصيب إذا انتهيت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم ، فخذ القوس و النشابات وارم الفارس الذي على القبة وأرح الناس من هذا البلاء العظيم، فإذا رميت الفارس يقع في البحر ويقع القوس من يدك فخذ القوس وادفنه في موضعه فإذا فعلت ذلك يطفو البحر، ويعلو حتى يساوي الجبل، ويطلع عليه زورقا فيه شخص غير الذي رميته فيجيء إليك وفي يده مجداف، فاركب معه ولا تسم الله تعالى فإنه يحملك، ويسافر بك عشرة أيام إلى أن يوصلك بر السلامة فإذا وصلت هناك تجد من يوصلك إلى بلدك. وهذا يتم لك إذا لم تسم الله))[255].

يبدو أن شخصية الهاتف تعرف الصعلوك التائه حيث يناديه باسمه، ويأمره بالقيام بطقوس سحرية معينة حتى يطغى ماء البحر على اليابس فيظهر زورق سحري على سطح الماء، تقوده شخصية من النحاس فيمتطيه الصعلوك امتثالا لأمر

---

[254] ـ الهاتف هو من تسمع صوته و لم تر شخصه، ومن حكم الهواتف أنها تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي و لم تحدث لجميع الناس بل هي مسخرة لأخبار عن الأحداث الصغيرة والوقائع العادية، والاتصال بالعظماء والحكماء والشعراء وإخبارهم بأمور الغيب ذات التأثير في مجرى الحياة أو مستقبل الإنسانية، ومن علة شيوع هذا المعتقد الشعبي، الوحدة التي من هي أهم العوامل وأقواها تأثيرا في النفوس البعيدة عن الجماعة إذ لا يمكن لأحد أن يسمع الهاتف وهو في جمع من الناس، وفي المعتقدات الشعبية الجزائرية يطلقون على الهاتف المنادي، وكانوا يعدونه نذيرا للشر والشؤم. ينظر عبد الملك مرتاض الميثولوجيا عند العرب ص 50.

[255] ـ ألف ليلة وليلة 1 /68

الهاتف في سفر يدوم عشرة أيام بين شخصيتين مختلفتين في التركيب، يتعايشان ولا يأتلفان، فيحدث الفراق بينهما فجأة لأن الصعلوك (الملك) خرق المحظور وذكر اسم الله وكان الهاتف قد حذره من ذلك.

والواقع أن شخصية الصعلوك (الملك) لم يكن يعرف شيئا عن هاتين الشخصيتين الأسطوريتين لأن دورهما كان حاسما في إنقاذه من الموت المحقق ، بهذا يكون سارد ألف ليلة وليلة قد لجأ في كثير من الحكايات إلى العفاريت ليوظفهم في الأدوار التي لم تستطع أي من الشخصيات البشرية الاضطلاع بها ، حتى يحفظ للمتلقي تصوره عن الحدود القاصرة بين أدوار الجن والإنس وليضفي على الحكاية عنصري المغامرة والتشويق، وعلى الرغم من ذلك لم ينج الصعلوك من هذه المغامرة إلا بعد عثوره على سرداب تحت الأرض ينتهي به إلى شخصية أسطورية متمثلة في (حصان سحري) يمتطيه ليطير به إلى سطح الأرض ثم يتلف عينه الشمال جزاء اختراقه المحظور .

والواضح أن هذا الحصان من المردة التي تتقمص شخصيات متباينة كثير ما تكون ((مؤذية شريرة تجلب النحس والمرض وتنشر الرعب)) [256] ، ثم يحاول جاهدا الاتصال بالخليفة هارون الرشيد في مدينة بغداد، شأن الشخصيات الرئيسة لهذه الحكاية التي تحضى في خاتمتها بلقاء الخليفة بوصفه رمز العدل وبيده مفاتيح السعادة لهذه الشخصيات المغمورة، و لم يجد الخليفة هارون الرشيد بدا من إحضار القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة والصبية الأولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين من أجل إفراحهم وإسعادهم فزوج الصبايا بالصعاليك، وجعلهم حجابا في قصره وزودهم بما يحتاجون من المال، وتزوج هو أيضا بالدلالة الحسناء وابنه الأمين بواحدة منهن تبعا لسياق الحكاية وقد كان في قصر الخليفة ((جوار من مختلف

---

[256] ـ إبراهيم بدران : دراسات في العقلية العربية بيروت ص 31.

الأجناس. عربيات ، شركسيات ، تركيات ويونانيات، عددهن حوالي مائتي جارية معظمهن مثقفات))[257].

اعتقد أن هذه الصبغة الجنسية التي أضفاها السارد على الشخصيات في آخر الحكاية لغاية فنية خالصة، لأن جل النساء المذكورات في الحكاية سبق لهن الزواج، ومع ذلك يوصفن بالصبايا من أجل الإثـــارة الجنســـية للمتلقـــي، وأن معظـــم الشخصيات من الرجال هم من المحظوظين وذوي المكانة العالية ، في مقدمتـــــهم الخليفة (هارون الرشيد) وكبراء دولته.

أما الشخصيات المتقمصة لصفات الصعاليك فهم ملوك وأمراء فـــالصعلوك الثاني ملك بن ملك واسع العلم غزير الثقافة يجمعه السارد بأميرة بنت ملك الهنـــد بغية تخليصها من أسر العفريت فتسحره قردا وتخلصه من سحره أميرة أيضـــا، وفي آخر الحكاية يعمل حاجبا في قصر الخليفة بمدينة بغداد.

أما الصعلوك الثالث فهو ملك وصف بالعدل والإحسان في رعيته ، لكـــن الصبية الساحرة تقع في القصر المسحور على أمير عظيم الشأن ابن ملك مثلـــها، وأختها يهواها الأمين بن الخليفة (هارون الرشيد) ويتزوجـــها دون أي عقـــدة طبقية، والخليفة نفسه لم تمنعه مكانته من التزوج بالصبية الدلالة ، ويقيم لها قصـــرا بجواريه وخدمه، شأنها شأن بنات الأكابر، والحمّال لم يمنعه وضعه الاجتماعي مـــن السمر في قصر مع الحسناوات الجميلات، ويعتقد أن تكون شهرزاد راغبة مـــــن خلال ذلك تكسير الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء والفقراء وبين الحاكم والمحكوم وتدعو المخيلة الشعبية إلى عدم الاستسلام للواقع الذي يضع الحواجز أمام المتطلـــع إلى تغيير وضعه الاجتماعي، وكأنها تبتغي أن تقيم مجتمعا تتحدى به نمطية العـــرف الشائع ولو في النص الحكائي في بعديه المكاني والزماني .

---

[257]- ANDRE CLOT : HAROUN EL RACHID et le Temps des Mille et une Nuits p60.

2. الزمـــــن:

يعد الزمن مفهوما معقدا يستعصي على الباحث تحديـــده لأنـــه مـــن أدق المفاهيم الفلسفية و أكثرها إشكالا وادعاها إلى الاحتياط و الاحتراز و هو حركـــة مستمرة لا يقتضي التوقف و لا السكون أبدا، و لو كان عبر الســـــكون نفســـه فلذلك (دق مفهوم الزمن في كل الفلسفات تقريبا عن التعريف الشـــامل الشـــافي النهائي[258])، لأنه مادة معنوية مجردة يتشكل منها إطار كل حياة و حيز كل فعـــل وكل حركة، فلم يتفق الفلاسفة ولا العلماء على تعريف الزمن فذهب باسكال إلى اعتباره ((من الأشياء التي يستحيل تعريفها، بل من العبث محاولة ذلـــك))[259] ، على الرغم من أن مظاهره جلية واضحة في كل مناحي الحياة و مجالاتها، و ليس له في هذه الحياة مجرد حضور بل إنه لفاعل فعله الخفي و المباشر أينما وجد و هـــو ليس فقط الأبد و الخلود الذي بشرت به الأديان و لا هو حركـــة تـــوالي الليـــل والنهار والفصول لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية، فهو يشمل ميادين كثيرة مـــن الوجود البشري، فهو عالم بلا حدود و أفق بدون نهاية.و لا تهم البحث مفـــاهيم الزمن الدقيق في حكاية حمال بغداد.و الثلاث بنات التي يسعى إلى دراساتها بقدر ما تهمه الدلالات الزمنية فهي الغاية الأولى، لأن هذه الدلالات ما انفكت في تغـــير وتطور بحسب ما تفهمه الشعوب منها و ما تراه من توظيفات ممكنة لها، وعـــن ذلك نشأت الدلالات الزمنية و اختلفت و تنوعت في حكايات شهرزاد كلها بـــل حتى في الحكاية الواحدة، فلكل حكاية نوع معين من الزمن يواكب الشـــخصيات ويختص بحركتها، لأنه مجرد أداة تقنية استعان بها السارد على بناء الحكاية مثله مثـــل اللغة والشخصية و الحدث، فهو عنصر من عناصر السرد من أجل ذلك لا يمكننـــا

---

[258] – عبد الصمد زايد : مفهوم الزمن و دلالته في الرواية العربية المعاصرة–الدار العربية للكتاب–طرابلس–ليبيا 1988 ص 07.

[259] – عبد الملك مرتاض الميثولوجيا عند العرب ص 76

الوصول إلى الدلالات الحقيقية للزمن في حكايات شهرزاد.و من النمـــاذج الـــتي صادفناها في حكاية الحمال و البنات الزمن المعبر عنه بالسنوات و الشهور و الأيـلم و الساعات.

الساعة :

لم تأت الدلالات الزمنية لهذه الأدوات في الغالب الأعم إلا غامضة، حيـــث إن الساعة عند شهرزاد لا تعبر عن الوقت المتعارف عليه المحسوب بالدقيقة و الثانية و إنما هي تقدير لوقت مبهم، حيث ترك السارد التقدير الزمني للساعة غامضـــا لا قياس له، و لا أحد يعرف عنه شيئا ، محاكاة للذهنية الشعبية التي تعبر عنها أحيانـــا بالزمن المبهم، و تفقدها دلالتها الزمنية الحقيقية لها، ذلك ما نجده في حديث الصبية التي أسكنها العفريت قصرا سحريا تحت سطح الأرض مع الصعلوك الذي اقتحـــم عليها مكانها السحري صدفة حيث فرحت و أسرّها قدومه، و بعد الضيافة الـــتي استغرقت زمنا طويلا يذكر الصعلوك ((جلسنا نتحدث ساعة ثم قالت: و الله إني كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الأرض وحدي)) [260] إن هذه الســـاعة لا تحمـــل دلالتها الزمنية الحقيقية لها.

مما لا شك فيه أن هذه الجلسة قد تطول الليل كله خاصـــة و أن الصبيـــة كانت في شوق شديد إلى من يحدثها، و أن الشخصية تقاربها في العمر الزمني ومن طبقتها الاجتماعية لأن الصعلوك في حقيقته أمير بن ملك عظيم و الصبية ابنة ملـك الهند. من أجل ذلك تذكر ((ثم جلسنا في منادمة إلى الليل))[261] هـــذه إشـــارة واضحة من السارد إلى أن الجلسة الحميمة استمرت إلى آخر ساعة من الليل حـين

---

[260] – ألف ليلة و ليلة 56/1

[261] – المصدر نفسه 56/1

بزوغ الفجر ، يمكن أن نقول إن هذه الساعة قد تحمل دلالتها الزمنية في النـــص السردي.

و مما يماثلها، أن العفريت لما ارتاب في أمر الصعلوك مع زوجته، عاقبـــها عقابـــا مبرحا، و لم تقر له بما حدث على الرغم من عثوره على نعل و فأس الصعلـــوك في قصره وهما من أدوات الإنس فأحضره بطريقة العفاريت المعهودة الـــتي عـــودت شهرزاد متلقي حكايتها على سماعها في الليالي، لعلها تعترف بذنبها، غـــير أنهـــا أنكرت إنكار الواثق من براءة نفسه، حيث ذكرت للعفريت ((لا أعرفه و لا رأيته إلا في هذه الساعة))[262] في النص إنكار لما وقع في الزمن المـــاضي وإشـــارة إلى الوقت الحاضر القريب، غير أن العفريت اقتنع بما لديه من قرائن ووضع حدا لهـــذه الفتاة، بقتلها يتوقف زمن السرد مع هذه الشخصية.

يستمر صراع العفريت مع الأميرة الساحرة التي عزمت على إبطال مفعـــول السحر عن الصعلوك المسحور، بما لديه من قرائن فوضع حدا لعمر هذه الصبيـــــة بقتلها شر قتلة فتوقف زمن السرد مع هذه الشخصية بعد الموت، كأنها لم توجـــد و لم تستحق الوجود وقد كان بالإمكان أن لا يقضي العبث على حياتها بـــالبطلان، وعلى العفريت أن يعزّي النفس بأن العمق الشخصي لحياته ما هو إلا لحظة أو جزء من الزمن العام. لأنه ((لا سبيل إلى مثل هذا التصور للحياة وللموت، لأن الهيئـــة الاجتماعية المتمادية في البقاء من بعد[الصبية]هي نفي له))[263]. إذ يقيض الزمـــن للعفريت الأميرة الساحرة، التي عزمت على إبطال مفعول السحر عن الصعلـــوك، الذي استحال إلى قرد بفعل سحر العفريت، فيذكر الصعلوك أنها ((قرأت كلاما لا يفهم ،بعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد أطبقت علينـــا

---

[262] – ألف ليلة و ليلة 58/1

[263] ــ ينظر عبد الصمد زايد : مفهوم الزمن ودلالته ص 174.

و إذا بالعفريت قد تدلى علينا في أقبح صورة))[264] إن هذه الساعة لا تفيد دلالتها الزمنية بل تعبر عن وقت قليل جدا، لأن القدرة السحرية التي تتمتع بهـــا الأمـــيرة تؤهلها الدخول في قتال عنيف مع هذا العفريت الذي وضعت حدا لحياته، ويبدو أن القتال الذي نشب بين الشخصيتين ((كان قائما على الصراع من أجل ربـــح أكبر مدى ممكن من الزمن، أي من عمر يضرب في أعماق الحياة، ونحن نعلـــم أن العمر ليس إلا مرادفا من مرادفات الزمن))[265]. هذه المقدرة التي تتمتع بها الأمـيرة الساحرة تخولها الحضور في وقت وجيز هذا من جهة ومن جهة ثانية تحفـــظ لنـــا شهرزاد في حكاياتها أن إحضار العفاريت لا يستغرق إلا وقتا ضئيلا ذلك ما نجـده مع الصبية التي سلمت خصلة من شعر العفريتة التي سحرت أختيـــها في صـــورة كلبتين إلى الخليفة هارون الرشيد بغية إحضارها. بمجرد أن أحرق الخليفة شـــيئا منه، و فاحت رائحته اهتز القصر و سمعوا دويا و صلصلـــة و إذا بالجنيـــة قـــد حضرت، على عجل، و لم يستغرق حضورها ساعة زمانية كاملة كما ذكر سابقا، بل كان حضورها في أقل من لمح البصر.

إن السارد يوظف الساعة لتحمل دلالة زمانية مبهمة لا أول لها و لا آخـــر. حيث تذكر الصبية لحراسها قبل ضرب رقاب الصعاليك، ((أمهلوهم ساعة حـــتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم))[266] . إن هذه الساعة التي تدل على وقـــت أطول، إذ كل منهم يقص عليها حكاياته مسترجعا ماضيه الغابر و ما تلقاه مـــن أهوال و مصاعب إلى أن جاء بيتها، إن هذا السرد صيغ في الزمن الماضي اســتغرق زمنا طويلا، لا تستوعبه ساعة زمانية واحدة. وثقافتنا الشعبية تعبر أحيانا عن هـــذا البعد الزمني الغامض بالساعة أيضا مثل قول أحدهم أجلس نتحدث ساعة.

---

[264] – ألف ليلة و ليلة 63/1

[265] ـــ عبد الملك مرتاض ميثولوجيا عند العرب ص 79.

[266] – ألف ليلة و ليلة 47/1

السنة :

من الأدوات القياسية للزمن السنة، حيث حدثت الصبية التي اختطفها العفريت الصعلوك الثاني الذي اقتحم قصرها دون سابق إنذار بعجب ((من أوصلك إلى هذا المكان الذي منذ خمسة و عشرين سنة ما رأيت فيه إنسانا أبدا))[267].

إن الدلالة الزمانية للسنة تبدو غامضة و مبهمة، و لا تنبئ عن الزمن الحقيقي بأي حال من الأحوال، إذ كيف يمكن لهذه الصبية أن تحسب الزمن و تقدر قدره الحقيقي و هي مغيبة عن الدنيا في سرداب تحت سطح الأرض، حيث لم تجد من تحدثه، و يحدثها طيلة هذه المدة الزمنية التي قدرتها بربع قرن، إذ إنها كانت في عداد الموتى بالنسبة لعالمها منذ أمد بعيد لم تر إنسا و لا جنا غير العفريت الذي كان يتردد عليها ليلة من كل عشر ليالي.

إن الوقت كما هو متعارف علية يقدر بشروق الشمس و غروبها و ظهور القمر وبزوغ الفجر. و بما أنها كانت تحت سطح الأرض لا يمكن لها أن تفرق بين الليل و النهار أو تحسب للزمن حسابه.

يبدو أن هذه الشخصية واثقة و متأكدة من الدلالة الحقيقية للزمن، إذ تصف حالها للصعلوك ((و الله إني كنت ضيقة الصدر، و أنا تحت الأرض وحدي لم أجد من يحدثني خمسة و عشرين سنة. فالحمد لله الذي أرسلك إلي))[268]، يظهر من خلال حديثها أنها واثقة من معرفتها للزمن متمكنة من استعمالات دلالته الحقيقية، باليوم و السنة حيث ترغب زائرها الصعلوك أن يعيش معها في قصرها

---

267 – ألف ليلة و ليلة 56/1

268 – المصدر نفسه 56/1

الحقيقية، باليوم و السنة حيث ترغب زائرها الصعلوك أن يعيش معها في قصرها السحري فأرادت أن تخصه بتسعة أيام وزوجها العفريت بيوم واحد، لأنه كان مواظبا على الحضور في هذا الزمن يوما من كل عشرة.

غير أن الحب و الغرام غالبا على الصعلوك، و أراد أن يفوز بالصبية لوحده و يخرجها من عالمها اللامنظور إلى العالم المنظور ذي الأقيسة الزمانية الواضحة المعالم، فكسر القبة السحرية التي هي بمثابة الإنذار المبكر بالخطر، فحضر العفريت إلى قصره على غير موعده بسرعته المعهودة يذكر الصعلوك ((فمن شدة خوفي نسيت نعلي و فأسي فلما طلعت درجتين التفت لأنظرهما فرأيت الأرض قد انشقت، و طلع منها عفريت))[269]. فالسارد هنا يقارن بطريقة فنية بين السرعة الزمنية للشخصية و العفريت على الرغم من أن الذهنية الشعبية تدرك جيدا قدرة العفاريت في طي الزمن و اختصار المسافات النائية و ذلك استنادا إلى القرآن الكريم[270].

كان زمن السرد ماضيا، و استمر كذلك إلى غاية الفجر، حيث عثر العفريت بحيلة منه على المكان الذي اختفى فيه الصعلوك ليسحره في صورة قرد ابن مائة سنة، ومن ثم يتبين أن السارد ضبط الزمن وحدده بمائة سنة، وحول شخصية الصعلوك من فتى إلى شيخ مهمل هرم متقدم في السن يصارع الحياة والموت (ووجود كهذا يخلع على الإنسان إنسانيته، إذ لا محتوى للمنزلة البشرية إن هي أفرغت من مضمونها الزمني))[271]،حيث كاد الزمن يتوقف بالنسبة لهذه الشخصية التي أضحت هيكلا خاويا فارغا يحاصرها القنوط مما يجعل الإحساس

---

269 - ألف ليلة و ليلة. 57/1

270 - " قال الله تعالى: قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الجِنِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ، قَالَ الذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ" سورة النمل الآية 39-40

271 ـــ زايد عبد الصمد : مفهوم الزمن ودلالته ص 138

إذ يرصد السارد من يعيد لهذه الشخصية نظارتها و شبابها وحيويتها، إنها الصبيـــة الساحرة التي أبطلت مفعول السحر عن الصعلوك، و أرجعته إلى شخصيته الأولى.

الزمن الضائع :

و من الزمن التائه المبهم ما نجده في حكاية الصعلوك الثالث، حيث كانت له مدينة على ساحل البحر، و هم بالخروج في نزهة فعدّ لذلك عدته يذكر للصبيـــة التي كان يحدثها في دارها: ((نزلت في عشرة مراكب، و أخذت معـــي مؤونـــة شهر))[272].

فمن خلال باقي الحكاية أن الزمن في هذا السرد مضبوط بعـــدد الأيـــام وخاضع للظروف الطبيعية و تقلباتها من شروق الشمس وغروبها و بزوغ الفجـــر وهبوب الرياح و طغيان الأمواج و ارتباط الشخصية بأماكن متباينة، و ذلك بغيـــة إيهام المتلقي بواقعية هذه الحكاية و دلائلها الزمانية، على الرغم من أن شـــخصياتها ميثولوجيا، هذا من جهة، و من جهة أخرى أن السارد يرد تيهان الشـــخصية إلى هبوب الرياح العاصفة و طغيان الأمواج العاتية. ((إننا هنا يوم جاءت علينا الريـــاح المختلفة))[273]، وهذا التيه أدى إلى إتلاف الطريق و غموض المكـــان المقصـــود للشخصية التي لم تتمكن من ضبط الزمن والتحكم في دلالته، لأنه كان خاضعـــا لتقلبات الرياح التي أثرت على سير اتجاه المراكب البحرية، و عبثت بالزمن حيـــث أفقدته دلالته الحقيقية.

حدد الصعلوك الثالث مدة الرحلة الزمانية في أول الحكاية بشهر بإشارة فنية من السارد (مؤونة شهر)، غير أن عدد الأيام التي استغرقها الصعلوك و هو يمخـــر

---

[272] - ألف ليلة و ليلة 66/1

[273] - المصدر السابق 66/1

عباب البحر بأسطوله بين الرشد و التيه على مسرح أحداث الحكاية أربع و ستون يوما، دون أن تفضي إلى موقع معين أو محدد،حيث لم يترك للمتلقي أملا في الظفر بالحيز المنشود للشخصية، كأن السارد أرادها أن تظل تائهة بين البحر و البر دون الاهتداء إلى الموقع المقصود أو معرفة مكان الانطلاق حتى لا يتمكن من معرفة طريق الإياب، الملاحظ أن عدد الأيام المذكورة في الحكاية وظفها السارد بطريقة فنية و عجائبية يذكر الصعلوك ((سافرت عشرين يوما... ثم هنا و لم نزل تائهين أحد عشرة يوما))[274].

جعل السارد عدد الأيام الزوجية بشير خير و تفاؤل، أما عدد الأيام الفردية فكانت نذير شؤم و تكريس لتيهان الشخصية في غياب الدلالة الزمنية الحقيقية، و في حكاية الصبية التي اختطفها العفريت (جرجيس) ليلة عرسها، و أسكنها تحت سطح الأرض، يلحق بها صنوف العذاب حين استوفت خمسا وعشرين سنة. ثم يزهق روحها حين كان عمرها قد بلغ سبعا و ثلاثين سنة.

نستنتج مما سبق أن الأعداد الفردية وظفها السارد في بعدها الزمني رمزا للقبح و الشر عكس ما تذهب إليه الذهنية الشعبية العربية التي تتفاءل بالأعداد الفردية، ويبدو أن هذا الجزء من الحكاية له حضور في الثقافة الإغريقية حيث ((الأرقام الزوجية ترمز إلى التزاع))[275] و في كل الثقافات يفضي التزاع إلى ما تحمد عقباه، و يكون فيه هدرا للزمن.

ترددت ظاهرة الأيام المبهمة في حكاية العجوز و الفتى الصالح، حيث حفظته مبادئ الإسلام و القرآن الكريم، والتمست منه أن يبقي الأمر سرا خوفا من غضب أبيه الماجوسي، فظل الشاب لأمره كاتما، و عبر عنه بقوله ((لم أزل على

---

[274] – ألف ليلة و ليلة.67/1

[275] – فليب سيرنج : الرموز في الفن ، الأديان ، الحياة ص 476.

هذه المدة أيام قلائل و قد ماتت العجوز و زاد أهل المملكة في كفرهـــم))[276].

إن هذه الأيام التي عبر عنها السارد بالقلائل فإنها لا تفيد الدلالة الحقيقية للزمـــن المعبر عنه بالقلة لأن المدة الزمنية التي استغرقها تعلم الشاب لا يمكنـــها أن تكـــون قليلة. و من هنا يمكننا القول إن الزمن غامض و مبهم وإن كان في صيغة المـــاضي فهو لا يحمل دلالة حقيقية.

و من الزمن الغامض التائه أيضا ما نجده في حكاية الصعاليك الثلاث، وردوا دارا لصبية في بغداد في ليلة واحدة بوصفهم غرباء (حضروا من أرض الـــروم)، ولا شكّ أن كلا منهم تكبد مشاقا وأتعابا في سفره، وسار زمنا ليس بالقدر اليسير من أرض الروم إلى بغداد حسب سياق الحكاية.

جلسوا للمنادمة والشراب مع الصبايا ((ويأتي شرب الخمر في هذا الحـــيز كعامل مساعد لبروز التداعيات والكشف عن نشاط اللاوعـــي))[277] وفي غمـــرة الليل ذكر أحدهم ((هل معكم حكاية أو نادرة تتسلون بها))[278]، فأخذ كل منهم يقصّ ما حدث له في الزمن الماضي وحين نتابع سير الحدث وهو يسير ليـــلا في هذه الدار بحضور الخليفة (هارون الرشيد) فلما انتشت الجلسة بالخمر وآلات اللهو والطرب وتحكم السكر في الصعاليك توقف زمن السرد فجأة وتحول مسار الحدث من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر، إذ تذكرت الصبية صاحب البيت ما عليـــها من واجبات فحدثت أختها ((يا أختي قومي نقضي ديننا))[279]، وتمثل هذا الديـــن في أن الصبية قامت لتضرب الكلبتين المربوطتين عندها، أثار هذا الضرب حفيظـــة الحضور واستفسروا الصبية عن السبب المحضور الممتدة جذوره في الماضي البعيـــد،

---

[276] – ألف ليلة و ليلة 74/1

[277] ـــ عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة د . م . ج الجزائر 1994 ص 147.

[278] ألف ليلة و ليلة 48/1

[279] – ألف ليلة و ليلة 44/1

لكن السارد يحتفظ بهذا الزمن ويؤجله إلى حينه، ليحافظ على مكان وزمان السرد واستمرار يته ليلا.

تميز هذا المكان (دار الصبية) بانفتاحه ، لاحتضانه لنوعيات مختلفة من البشر وأشكالا متنوعة من الأحداث الحكائية، تكلف الصبية صاحبة البيت الصعاليك الثلاثة البوح عن سيرتهم جزاء سؤالهم عن سر ضرب الصبية الكلبتين ثم تضمهما حنانا، وتبكي لبكائهما حزنا، فذكر أحدهم ((أن كل واحد منا من بلد وأمرنا لغريب والتفتت الصبية لهم، وقالت: كل واحد منكم يحكي حكايته وما سبب مجيئه إلى مكاننا))[280]، فأخذ كل واحد منهم يقص عليها حكايته في المكان نفسه ، وما وقع له في الزمن الماضي البعيد.

يذكر الصعلوك الثاني ((أنا ملك بن ملك قرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها... واجتهدت في سائر العلوم حتى فقت أهل زماني... وشاع حظي عند سائر الملوك))[281]، ويتواصل السرد في زمنه الماضي و في المكان نفسه مع الصعلوك الثالث في حديثه للصبية.يا سيدتي ((إني كنت ملكا بن ملك حكمت، وعدلت، وأحسنت للرعية))[282].

يبدو أن زمن هذا السرد موغل في القدم ويعود إلى أمكنة متباينة، غير أنه استحضر في مكان واحد ، دار الصبية واحتل حيزا من حكايات شهرزاد.

فقد عاد السارد بالقارئ إلى البحث في جذور الماضي السحيق عن سر ضرب الصبية للكلبتين. ويتوقف السرد قليلا، ثم يستأنف نشاطه في حضرة الخليفة هارون الرشيد، ويتغير الزمن من الليل إلى النهار، ويتحول المكان من دار الصبية إلى قصر الخليفة في مدينة بغداد، حيث تكشف الصبية للحضور عن سر ضرب

---

[280] – المصدر نفسه 48/1

[281] – المصدر السابق 54/1

[282] – المصدر السابق 66/1

الكلبتين، بأنهما أختاها سحرتهما عفريتة لشرهما، وأجبت عليها ضربهمـــا يوميـــا ثلاث مائة سوط، وقد وضحت ذلك للخليفة ((و لم أزل أضربهمـــا، وأشـــفق عليهما))[283] . فتبين أن سبب العقاب كان ماضيا واستمر في الحـــاضر لديمومتـــه واستمرار يته لمواظبة الصبية عليه ، وكأن امتداد الزمن لا ينقطع.

فالزمن الداخلي للشخصية ليس منظومة زمنية واحدة وإنما زمن متواصل لا حدود فيه، فالماضي حاضر يفيض على المستقبل. بحيث يكشف السر عن الزمـــن الماضي ، و لم تحل عقدة الكلبتين الأختين إلاّ بعد أن قص الصعاليك حكايتـــهم ، فكان هناك تزامن مع ما حدث لهم وللصبايا، والذي يمكن ملاحظته في تقنيـــات السرد أن الزمن تحول من الماضي وهو في ماخور الصبية إلى الحاضر وهو في قصـــر الخليفة، أفضى هذا التحول إلى حضور العفريتة التي أزالت المسخ عن الكلبتـــين، وأرجعتهما إلى حالتهما الأولى حيث أعادت للزمن حركته وحيويته الذي كـــان متوقفا بالنسبة لهما حين مسختا في صورة كلبتين ، إذ لا أحد كان يعلم عنـــهما شيئا، ثم زوج الخليفة هؤلاء الصبايا بالصعاليك في قصره، الذين اتصـــف زمـــانهم بالتزامن والتوازي حيث أموا دار الصبية في وقت واحد.

على الرغم من أن قدومهم كان من أماكن متباينة المواقع وتنـــادموا مـــع الصبية في مجلس واحد واستحضروا ماضيهم أمام الصبية في دارها في وقت مـــتزامن أيضا ، وامتثلوا أمام الخليفة لينعم عليهم، ويكرمهم غاية الإكرام لأن شـــخصيته هارون الرشيد ((هو قطب الشخصيات الحكائية إطلاقا وعهده هو قطب الأزمنـــة وعاصمته بغداد هي قطب الحيز))[284] . من أجل ذلك أضفى السارد على هـــذه الشخصية مكانها وقدسيتها وإجلالها احتراما للشعور عند المتلقين.

---

[283] – ألف ليلة و ليلة 76/1

[284] – عبد الملك مرتاض : ألف ليلة و ليلة تحليل سيميائي تفكيكي ...ص،233

يتضح مما سبق أن الزمن أثر تأثيرا بالغا وملحوظا في الشخصيات التي كان يحركها. فهو يقترن غالبا بالحركة المتصلة بالمكان. إن الأحداث كانت تجري في زمن أسطوري لا يمكن قياسه قياسا دقيقا محصورا بين نقطتي البداية والنهاية للحكاية العجيبة، التي تفتقر إلى المرجعية الزمنية الصريحة والمباشرة : ((لأن أحداثها تدور في عالم متحرر من كل القيود العرضية الظرفية وهو عالم الممكن المطلق، كما أنّ الرؤية السحرية التي هي بمثابة الطاقة المولدة للحكاية تحول دون أي إرساء زمني صريح[285]))، لأن عنصري الزمان والمكان يمثلان ركيزتي العالم العقلاني، والإنسان كفرد لا يدرك من الزمن إلاّ القليل لأنه أولا وقبل كلّ شيء ظاهرة اجتماعية وأن النشاط الفردي جزء لا يتجزأ من الزمن، الذي لا يمكنه أن ينفصل عن المكان.

3. المكـــان:

يمثل المكان عنصرا أساسا في الأعمال الإبداعية الكبرى بجميع أجناسها وأشكالها، بل ويأخذ بعدا دراميا في صنع بعض الفضاءات الأسطورية، وبذلك يشكل المكان قطبا أساسا من أقطاب العمل الفني فيؤدي دورا هاما في تكوين هوية المكان الجماعي للشعوب، كما يعبر عن المقومات الثقافية المعرفية والجمالية، ومن ثم يصبح رمزا إنسانيا، يأخذ في كثير من دلالاته منحى جماليا، ومن الصعوبة الفصل بين بنية المكان والزمان عند تناول أي عمَل فني بالقراءة، لأن ((الارتباط جوهري بين الزمان والمكان))[286] ؛ فالأعمال الإبداعية لا تكتسب البعد الإنساني

---

[285] ـــ سمير الرزوقي و جميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة ، تحليلا وتطبيقا ، د م ج الجزائر 1985 ص 58

[286] ـــ مجموعة من الباحثين جمالية المكان ـــ دار قرطبة المغرب ط 2 / 1988 ص 21.

إلا من خلال تشابك عناصر التجربة ، وإن الفصل بين عناصرهـــا لا يكـــون إلا فصلا ميكانيكيا.

إن النص الحكائي في ألـــف ليلـــة و ليلـــة غـــني ((بـــالتنوع في الحـــيز و الشسوع و الغرابة في تقديم المكان للمتلقي))[58] الذي لا يشكو من ضيـــق و لا من انحصار . فالشخصية لها مطلق الحرية في إنشاء الحيز غير المقيد بفضاءات زمانية أو حدود جغرافية، و ذلك لتحكمها في الممارسات السحرية وإتقانها له اتقانـــا شديدا ، خوّل لها خلق أحيزة سحرية عجيبة ، لمخاطبة المخيلة الشعبية التي تحتفـظ في حكاياتها الشعبية بكثير من صورها.

جزر الواق واق :

تذكر جزر (الواق واق) دليلا على البعد و استحالة الوصول إليـــها، دون دعم العفاريت أو تسخيرهم بقوى سحرية تجعلهم مطايا للإنسان، غير أن بطـــل الحكاية(حسن البصري) يتحدى الأخطار و المشاق ليفوز بزوجته الجنية على الرغم من تحذير الشيخ (عبد القدوس) الذي صادفه في طريقه، ((إن كنت تخاف علـــى نفسك فلا تلقي بها إلى الهلاك، و يرزقك الله خيرا من هذه البنت التي تعلقت بهـــا فأنشد (حسن):

فإن غاب أحبابي فلا عيش بعدهم و إن رجعوا يا فرحتي و مسرتي[287]))

تيقن الشيخ أنه لا يمكن أن يثني (حسن) عن عزمه لفرط حبه لزوجته و لـــو أضاع حياته من أجلها ، فدله على الطريق و وصف له جزر الواق واق بخيـــال

---

[58] عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية . بحث في تقنية السرد 1998 . ص 161.

[287] ـــ ألف ليلة وليلة 321/4.

عجيب يجذب السامع و يسر المتلقي، اعلم يا ولدي: ((إن جزائر الواق واق سبع جزائر فيها عسكر عظيم وذلك العسكر كله بنات أبكار ... مردة وسحرة وأرهاط مختلقة وكل من دخل أرضها لا يرجع ، و ما وصل إليهم أحد قط و رجع ... إن زوجتك في الجزيرة السابعة من جزر الواق واق و مسافة ما بيننا و بينها سنة للراكب المجد في سيره فإننا نسير من هنا حتى نصل إلى شاطئ نهر ، ثم على جبل آخر يسمى جبل واق... و هذا الاسم علم على شجرة أغصانها تشبه رؤوس بني آدم فإذا طلعت الشمس عليها تصيح تلك الرؤوس جميعا، و تقول في صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق، فإذا سمعنا صياحها نعلم أن الشمس قد طلعت ، وكذلك إذا غربت و لا يقدر أحد من الإنس أن يقيم عندها))[288].

يصور الحاكي جزر (الواق واق) النائية بخيال عجيب و يجعل قاطنيها كلهن نساء أبكار ساحرات لا يطأ أرضهن إنس فهن محاربات، على صدورهن دروع واقية و في أيديهن سيوف مشهورة لكنهن لا يحاربن، و لم يقمن بأي حرب و لا يستعملن أسلحتهن إلا لمجرد الزينة و سلاحهن الفعال لباس سحري من الريش يطرن به في أي وقت شئن و إلى حيث أردن بمجرد أن يلبسنه، و أضاف الحاكي لهذا الخيال وجود قصر عجيب فوق جبل سحاب، ثم أضاف إلى عجائب هذه الجزر غرابة اسمها و هو جبل واق، حيث تقيم زوج (حسن) ، يصور بعده في أرض الجن عليه شجرة أغصانها تشبه رؤوس بني آدم و عند صياحها تذكر (واق واق) كأنها طيور داجنة تنبئ بشروق الشمس و غروبها، لها دلالة زمانية في تنظيم الوقت لسكاني هذه الجزر، و في الوقت نفسه تعليل لاسم المكان بطريقة فنية.

---

288 ــ ينظر المصدر السابق 321/4 ــ 335.

تنبغي الإشارة أن (جزر الواق واق) مكان خيالي وظفها السارد ليضفي بعدا أسطوريا على مضمون الحكاية، و ليعطيها صبغة فنية ترمز إلى الأماكن النائية، حيث يتحمل (حسن) مشاق السفر، و يغامر بحياته في رحلة ميثولوجيا عبر أرض الكافور و الأرض البيضاء التي لم تطأها قدم إنسي قبله، من أجل عشيقته الجنية، غير أن علي الملاح، يذكر أن لفظة (واق واق) ليست من عالم الخيال في شيء، بل لا تزال لحد الآن اسما جغرافيا يقع في الساحل الجنوبي لشرق استراليا و يسمى (واغ واغ) أو يلفظ بالكاف الفارسية واك واك.

و هناك جزيرة صغيرة قرب جزيرة (غينيا الجديدة) تابعة إلى إندونيسيا أيضا اسمها (ويك أو) Waig eo، هذه الأسماء الجغرافيا تنطق حسبما يلفظها السكان المحليون، هذا مما يجعل إمكانية الميل مع القائلين أن الملاحين العرب، يمكن انهم قد وصلوا إلى الجزر النائية أو أنهم سمعوا أسماءها من أهلها (واك واك) و نقلوها إلى العربية بلفظة (واق واق)[289] . فانتقلت إلى الحاكي ليمنحها بعدا أسطوريا وجعلها من الجزر الخيالية التي يسكنها الجن التي يتعذر على الإنسان الوصول إليها إلا إذا تسلح بقوى غيبية و بطقوس سحرية، و هذا الحيز العجيب يحتفظ به الخيال الشعبي و يردده باعتباره ((لا يماثله شيئا على وجه الأرض، و لا يوجد حيز آخر أروع و لا أبدع و لا أبعد منه في الكون))[290] . وفي الواقع أصطنع السارد هذا الموقع الخيالي رمزا للبعد الهائل من جهة و لاستحالة بلوغه من جهة ثانية، والعجيب أنه عندما كان يتحدث عن البراعة السحرية والقدرة الخارقة على تحرك الجن و انتقالهم إلى أقصى الأمكنة في أقل من لمح البصر أو ارتداد لجفن العين .

---

289 ــ ينظر محمد علي الملاح رحلة في ألف ليلة وليلة ص 51

290 ــ عبد المالك مرتاض : ألف ليلة والليلة تحليل سيميائي وتفكيكي لحكاية حمال بغداد ــ الجزائر ــ ص 140.

جبل قاف :

يرد جبل (قاف) في حديث الصبية التي تعلمت السحر دون علم أبيها اثباتا لقدرتها السحرية الخارقة التي أضحت تتمتع بها حيث تذكر ((يا أبتي كان عندي و أنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتني صناعة السحر و قد حفظته و أتقنته وعرفت مائة و سبعين بابا من أبوابه أقل باب منها أنقل به حجارة، مدينتك خلف جبل قاف))[291]. و لم يتسن لها ذلك إلا بعد أن أصبحت تملك مهارة سحرية خارقة تمكنها من نقل مدينة أبيها التي وردت مبهمة، وتشير إلى المكان المتخيل والبعيد الذي لم يطأ أرضه.

و في السياق نفسه تخبر (صبية) الخليفة (هارون الرشيد) لما سألها عن حال الجنية التي سحرت أختيها في صفة كلبتين: ((هل عندك خبرا بالعفريتة التي سحرت أختيك قالت يا أمير المؤمنين، إنها أعطتني شيئا من شعرها و قالت إن أردت حضوري فاحرقي من هذا الشعر شيئا فاحضر إليك عاجلا و لو كنت خلف جبل قاف))[292] ، فالتوقع و الافتراض من الجنية بدلان علي بعد المكان على الرغم من قدرة الجن في التحرك السريع و القيام بالأعمال الخارقة، إذ يحدث أحدهم النبي سليمان في قوله تعالى ((أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ))[293].

تصور شهرزاد أن هؤلاء العفاريت هم وحدهم القادرون على الذهاب إلى هذا المكان الغريب و البعيد، و لا يستبعد أن جبل قاف هو نفسه المتردد في ((أحاديث الأولياء والصالحين و رجال التصوف))[294] و غني عن البيان أن أماكن

---

[291] ـــ ألف ليلة و ليلة 62/1

[292] ـــ المصدر السابق 82/1.

[293] ـــ سورة النمل الآية رقم 40.

[294] – عبد الملك مرتاض ألف ليلة و ليلة –تحليل سينمائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد ص 140

هؤلاء التعبدية و أضرحتهم تقام على قمم الجبال، التي قد تكـــون رمـــز الخـــير والصلاح و الفلاح، على الرغم من كونه حيزا أسطوريا.

الأماكن الخيرة :

تصادف الأماكن التي بهذه الصفة في حكايات شهرزاد وتكون مصـــدر خير و نفع لزائرها على الرغم من تعدد مظاهرها و أشكالها ، منها ما هو ظاهر في حكاية الصبية التاجرة التي خرجت في تجارة لها فظلت الطريق إذ تذكر ((تاه بنـــا المركب و دخل بحرا غير البحر الذي نريده... فلاحت لنا مدينة على بعد، فقلـــنا للرّيس ما اسم هذه المدينة التي أشرفنا عليها فقال : و الله لا أعلم و لا رأيتـــها ولا سلكت عمري هذا البحر ... فما بقي إلا أن تدخلوا هـــذه المدينـــة وتخرجـــوا بضائعكم فإن حصل لكم بيع فبيعوا وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا ادخلوا هذه المدينة وتعجبوا من صنع الله في خلقه واستعيذوا به من سخطه))[295].

ولاشك أن السارد هنا تعمد إغفال المدينة، و تركها مبهمة في ذهن المتلقـــي و لم يذكر اسمها و لم يحدد موقعها لا في بعديه الجغرافي أو الخيالي، وجعل الريّـــس كأنه لم يسلك هذا المسلك البحري الغريب ، وذلك إشارة إلى السامع بطريقـــة فنية، أن هذا المكان لا وجود له إلا في النص، هذا من جهة أخرى يصف حـــال المدينة وهوية ساكنيها. بأنها مدينة ممسوخة لها صلة بالسحر و العقاب الذي سلطه الله على قاطنيها العصاة لطاعة أمره، حيث أنذرهم هاتف خلال ثلاث ســـنوات متتالية لترك عبادة النار فلم يتزجروا لما نهوا عنه فمسخهم الله حجـــارة ســـوداء، فاندهش ركاب السفينة و الصبية التاجرة لهذه المدينة الممسوخة بحكـــم رؤيتـــهم لهؤلاء السكان وكأنهم أحياء وبضائعهم معروضـــة في أســـواقهم ((فمشـــينا في

---

[295] – ألف ليلة و ليلة 71/1

الأسواق فوجدنا البضائع باقية و الذهب و الفضة باقيين علـــى حالهمـــا))[296] ، حيث تعد هذه المدينة رحبة الصدر وتتميز بالاتساع الذي يتطابق مع حرية الحركة بالنسبة للشخصيات، الذين تعجبوا وأظهروا ابتهاجهم، لما هـــو معـــروض دون حارس و لا رقيب.

إن هذا المكان الأسطوري كان نافعا جدا لمكتشفيه، حيث وفر لهم رزقـــا كبيرا و خيرا وافرا ، فأخذوا ما خف حمله و غلا ثمنه، و في الوقت نفسه تلتقـــي الصبية التاجرة في القصر العجيب لهذه المدينة على فتى في مقتبل العمر وهو الوحيد الذي نجا من المسخ الذي لحق قومه، فكان يشعر بالتعاسة والشقاء ، لأن المكـــان الفارغ لا يسعد الشخص في أي طور من الأطوار فتعجب به الصبية التي كانت تعيش هي الأخرى فراغا في حياتها لتتخذه زوجا، وتنقله من الجمود إلى الحركـــة ومن ضيق المكان إلى سعته فتمحو عنه الشقاء، وتصبغ عليه الرخاء في مدينة بغـداد رمز الحضارة والسلام.

إن هذا المكان العجيب كان عظيم النفع لهذه الشخصية المحورية في الحكاية، غير أن السارد يجعل هذا الفتى يلقى حتفه غرقا في أحواز مدينة البصـــرة بعـــد أن تحطم به المركب في أعراض البحر، و تنجو الصبية التاجرة، حيث تصرح ((و أمـــا أنا فكنت من السالمين، فلما سقطت في البحر رزقني الله بقطعة خشب فركبتـــها وضربتني الأمواج على ساحل الجزيرة))[297].

وواضح أن وسيلة نجاة الصبية التاجرة من الموت غرقا هي قطعة خشـــب وإن كانت ترد شهرزاد نجاتها إلى صلاحها حيث توفي أبوها وتركها مع أختيـــها أكبر منها سنا زوجتهما بمالها الخاص، بعد فترة غدر أزواجهما بهما، وبعـد أن زال

---

[296] – ألف ليلة و ليلة 72/1.

[297] ـــالمصدر السابق76/1

حزنهما رغبا في الزواج ثانية، فنصحتهما أختهما التاجرة بحديث جاء فيه ((يا أختاي لن تريا في الزواج خيرا فإن الرجل الجيد قليل في هذا الزمن))[298].

مما سبق يمكن القول إن شهرزاد كانت تخاطب زوجها الملك (شهريار) على لسان التاجرة، حيث كان ينظر إلى النساء كلهن ماكرات خائنات للمعاشرة الزوجية و لم يجد في الزواج خيرا . فالفتاتين وجدتا المصير نفسه ، لأن الرجل الصالح قليل في هذا الزمان، كما كان شهريار يرى أن المرأة الصالحة في زمانه غير موجودة.

ينبغي أن نشير أن هناك تماثلا في الزمان و تناظرا في المكان من خلال الموقفين، يكشف شهريار خلفيات الحدث ((إذا كان هذا الأمر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة، فكيف حال هذه العاهرة إذا غبت عند أخي مدة))[299]. و في المقابل تصف التاجرة حال أختيها ((ضيع زوجهما المال وخسرا و تركاهما في بلاد الناس))[300] .إن الصبية لم تذكر مقر إقامة أختيها، و تصفها (ببلاد الناس).

يبدو أن المكان في الموقفين ليس خرافيا أو سحريا، لكنه ظهر غامضا مبهما عن السامع ، ومرد ذلك لصلته بالغدر و الخيانة من الطرفين.

ففي حكاية مدينة النحاس يجعل السارد الحيز فضاء جغرافيا خياليا في صحراء سجلماسة بأرض المغرب*، حيث ينتقل إليه موسى بن نصير بجيشه بحثا عن الجن المدفونة في أعماق البحر في قماقم من نحاس و هي التي أثارت فضول الخليفة (عبد المالك بن مروان)، فصادف في طريقه مدينة مغلقة الأبواب عالية الأسوار.

---

[298] – ألف ليلة و ليلة 71/1

[299] – 1المصدر السابق 4/1

[300] – المصدر السابق71/1

* – للمزيد من التفصيل ينظر : أبو حامد عبد الرحيم ابن سليمان : تحفة الألباب ونخبة الإعجاب – تحقيق إسماعيل العربي – المغرب ط1 393 ص 59-63.

((إن هذا الوصف المعماري يجعل المتلقي يحس بحقيقة الحيز وواقعيته وتاريخيته))[301].

وكل من أشرف على حائطها قصد اقتحامها صفق ورمى بنفسه فلا يخرج منها إلى آخر الدهر، فتمكن الشيخ عبد الصمد عامل (موسى بن نصير) من صعود سور المدينة، و فك الأرصاد السحرية، واقتحم أسوار المدينة ، فوجد ساكنيها موتى، يبست جلودهم ونخرت منهم العظام، وإذا كان الموت يعني الغياب، فإن الموت بالنسبة لهؤلاء ((يعني الحضور الدائم والأداة الصارخة والمستمرة، التي يوجهها السحر))[302] ، حيث الأسواق والمتاجر ملأى بالخير العميم والمال الوفير، مما يشير إلى أن المكان متفتح و زاخر بأشكال متنوعة من الحركة، لأن السوق يمثل الوجه العام للمدينة. وتعلل شهرزاد على لسان ملكة المدينة (ترمذين) ما حلّ بهم ((قد تواترت علينا سبع سنين و لم ينزل علينا ماء من السماء و لم ينبت لنا عشب على وجه الأرض، فأكلنا ما عندنا من القوت . فحينئذ حضرت المال وكلته بمكيال وبعته مع الثقات من الرجال ، فطافوا به جميع الأقطار و لم يتركوا مصرا من الأمصار في طلب شيء من القوت، فلم يجدوه، فحينئذ أظهرنا أموالنا وذخائرنا، وأغلقنا أبواب الحصون التي بمدينتنا وسلمنا الحكم لربنا فمتنا جميعا كما ترانا))[303].

إن تعطيل الحياة في هذا المكان المسحور مرده القضاء والقدر، وقد تصور السارد أن الرزية التي لحقت قاطني هذا المكان الخيالي كارثة عالمية، لأن رجال الملكة طافوا جميع الأقطار والأمصار، و لم يعثروا على مكان فيه قوت، فغلقوا على أنفسهم أبواب مدينتهم وحصنوها بالسحر ليردوا عنها كل من أراد أن يشرف

---

[301] ـــ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية . بحث في تقنيات السرد سلسلة عالم المعرفة الكويت 1998ص 150.

[302] ـــ ينظر عبد الحميد بورايو ـــ منطق السرد ـــ ص 148.

[303] ـــ ألف ليلة و ليلة 51/4

عليها ، أو يروم الوصول إليها، حيث يذكر الشيخ (عبد الصمد) ((لمّا وصلت أعلى السور رأيت عشر جوار كأنهن الأقمار يشرن بأيديهن أن تعال إلينا ، وتخيل لي أن تحتي بحرا من الماء فأردت أن ألقي نفسي كما فعل أصحابنا))[304].

أعتقد أن هذا الخيال السحري الخصيب في جعل المكان مصدر خير وشر مرجعيته البيئة الشرقية ، حيث كان الفراعنة وملوكهم يؤمنون بعقيدة البعث والخلود وأنهم سيقومون من موتهم، ليجدوا كنوزهم وأموالهم وخدمهم، فأمروا السحرة باستخدام فنون السحر لتحنيط الجثث وحراستها بواسطة طلاسم سحرية تؤذي كل من يقترب من الحيز المحظور، يذكر أنيس منصور في هذا الشأن ((أن لبعض المدن أرواحا قوية، وأن هذه الأرواح لها سلطة أو سيطرة يقوم الكهنة بتسليطها على الناس))[305]. تماثل هذه الأرواح الجواري الموتى اللائي يقمن بحراسة مدينتهن، ويلحقن الأذى بسحرهن كل من تجاوز الحيز المحظور، غير أن هذا الحيز ليس شريرا ، حيث لا يلحق الأذى إلاّ بالذي لا يمتلك القدرة السحرية، لقد تمكن الشيخ (عبد الصمد) من إبطال مفعول الأرصاد السحرية لهذا الحيز، وفتح أبوابه أمام الأمير موسى بن نصير، فأمر عساكره بالدخول ((وحملوا الجمال من تلك الأموال والمعادن ثم إن الأمير (موسى) أمرهم أن يغلقوا الباب كما كان))[306]. فظهر هذا الحيز مماثلا في نفعه العام للحيز الذي صادفته الصبية التاجرة في رحلتها الميثولوجيا التي لم تكلل بالنجاح على ما يبدو.

---

[304] ـ ألف ليلة و ليلة45/4

[305] ـ لعنة الفراعة و شيء وراء العقل، دار الشروق، ط 2 ،1978 ،ص 57.

[306] ـ ألف ليلة و ليلة 53/4

الأماكن الشريرة:

تظهر الأماكن الشريرة في حكاية الصعلوك الثالث، إذ يذكر ((أردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة مراكب... فهبت علينا رياح مختلفة... فاختلفت علينا المياه وعلى الريِّس واستغرب البحر... فقال يا سيدي أعلم أننا تهنا... وليس لنا ريح يرجعنا إلى ما نحن قاصدون آخر النهار، وفي غد نصل إلى جبل من حجر يسمى حجر المغناطيس وتجرنا المياه غصبا إلى جهته فيتمزق المركب ويروح كل مسمار في المركب إلى الجبل ويلتصق به، لأن الله وضع في حجر المغناطيس سرًّا... وفي آخر النهار تمزقت المراكب ، فمنّا من غرق ومنّا من سلّم... وأما أنا يا سيدتي فنجاني الله تعالى... فطلعت على لوح من الألواح فألقاه الريح والأمواج إلى جبل))[307].

يتبين أن هذا المكان (جبل) سحري عجيب خارق يوجد فوقه قبة عليها فارس سحري شرير لئيم ، حيث كل سفينة تمر عليه يسلط عليها سحره ويصيبها من شره وخبثه فيمزقها شر ممزق، إذ تنجذب القطع المعدنية نحو الجبل السحري بطريقة عجيبة فتتطاير ألواحها عائمة في البحر، وذلك بفعل القوة السحرية التي أودعتها القوة الخفية في هذا المكان لتخويف الناس وإلحاق الأذى بهم.

ويصبح المكان المسحور على شاكلة المحظور ، حيث لا يرحم كل من اقتحم أرجاءه واقترب من أحوازه، فكل سفينة تشرف عليه أو تحوم حوله إلاّ وجذب مساميرها، وفك تركيبها*.

---

[307] ــ ألف ليلة و ليلة 67/1.

* ــ إن القوى العجيبة لهذا المكان الشرير تتماثل في أذهان الناس مع مثلث برمودا في المحيط الأطلسي المعروف بغرائبه وعجائبه الذي كان مسرحا لكثير من الحوادث البرية والبحرية، ((ففي يوم 1945/02/05، اختفت خمس طائرات من قاذفات القنابل الأمريكية ... وكان الجو صحوا، بعد ربع ساعة من الطلعة استقبل برج المراقبة مكالمة من قائد السرب مفادها أننا ظللنا الطريق، إننا لا نستطيع معرفة أي علامة أرضية ... كل شيء يبدو غريبا ... حتى المحيط من تحتنا لم يبدو كما كان ... وفي 1967/09 اختفت سفينة الركاب (ويتشر كرافت) في ظروف أشد غموضا إن غموض حقيقة هذه الحوادث قدم زادا فكريا للذهنية العامة في سيطرة القوى الخفية على هذه

الغريب أن كل من كان في صحبة الصعلوك الثالث (الملك خصيب ابن عجيب) هلكوا غرقا ، و لم ينج إلاّ هو على لوحة كانت قد تطايرت من أحد المراكب وبالوسيلة نفسها طلعت الصبية التاجرة من البحر إلى البرّ.

تصور شهرزاد للملك شهريار من خلال هذا المشهد أن نجاة الملك تعود لصلاحه وعدله (عدلت وأحسنت للرعية) [78]، غير أن شهريار لم يكن كذلك، إذ لم يحسن لرعيته لأنه كاد أن يفني كل الجنس الأنثوي ومن خلاله القضاء على البشرية.

تتموضع الأماكن الشريرة أيضا في القصور، التي يتخذها الجن مأوى للعشيقات اللائي يختطفهن، وهذا النموذج كثير الحضور ــ وبشكل مثير ــ في ألف ليلة وليلة لذلك سأقتصر على القصر الذي ابتناه العفريت (جرجيس) تحت الأرض ، للأميرة التي اختطفها ليلة زفافها، و لم يجعل له أي منفذ إلى سطح الأرض ، وهو بالغ الروعة متقن البنيان، مجهز بكل المرافق الضرورية والكمالية الراقية ومزود بطلسم سحري يبقي الأميرة على اتصال دائم ومستمر مع العفريت، تحضره في أي وقت تشاء ، لكن شهرزاد تجعل من الجنس مِعولَ شر وخراب في هذا الحيز السحري كما هو الشأن في حيز الملك (شهريار) ، إذ إن خيانة زوجته في مقرِّ بيته كادت أن تؤدّي إلى خراب البشرية جمعاء.

فيهتدي الحطاب إلى دخول القصر البالغ الروعة ؛ دون تدبير منه أو تفكير، هذا الاقتحام غير المقصود، أودى بحياة الأميرة المغتصبة، لارتياب العفريت في أمرها مع الحطاب الذي سحره قردا ، والعفريت نفسه أحرقته أميرة ابنة ملك من أجل

المنطقة، وأذيتها لكل من حام حول هذا المكان المحظور يصبح أثرا بعد عين / ينظر : عبد المحسن صالح : " الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ــ مجلة عالم المعرفة ــ ع 235. ط 2 1998 ص 240- 242.

[78] – ألف ليلية وليلة 66/1.

تخليص الحطاب المسحور ، وتلحقه هي الأخرى جثة هامدة لما أصابها من ضرر في معركة سحرية خارقة مع العفريت.

مما لا شك فيه أن نوع هذا المكان ((يؤثر في الشخصيات التي تتحرك على أرضه، ومستوى المواقف التي تحدث في إطاره واتجاه الصراع الذي يدور داخله))[308].

المكان الجغرافي :

يورد السارد في حكاية (جودر الصياد) مكانا جغرافيا وتاريخيا له دلالة مباشرة بالسحر والمردة، حيث يتحدث عن ساحر مغربي فشل في معالجة فتح كنز بأرض المغرب لعدم قدرته السحرية في القبض على المردة الذين لا يفتح الكنز إلاّ بهم وهروبهم إلى بركة (قارون) في مصر، وانسابوا في مياهها لأنهم من الجن الغواصة. تتوارى مهمة الساحر المغربي بعد وفاته باعتباره شخصية مؤثرة في أحداث الحكاية، ويظهر أبناؤه الثلاثة فينتقلون إلى مصر للاجتماع بجودر الصياد ابن عمر ((فإنه يكون سببا في قبض أولاد الملك الأحمر وذلك الغلام يكون صيادا والاجتماع به يكون على بركة قارون...، يكتف صاحب النصب ويرميه في البركة فيتحارب مع أولا الملك وكل من كان له نصيب فإنه يقبض على أولاد الملك الأحمر والذي ليس له نصيب يهلك ، وتظهر رجلاه والذي يسلم تظهر يداه فيحتاج إلى جودر ليرمي عليه الشبكة ويخرجه من البركة))[78].

الملاحظ أن هؤلاء السحرة من أرض المغرب، اجتمع كل منهم بجودر عند البركة على انفراد دون أن يطلعه على غرضه، وطلب من أن يكتف أرباعه ويلقيه

---

[308] ـــ عبد الفتاح عثمان : بناء الرواية : دراسة في الرواية المصرية ـــ القاهرة 1982 /ص 59.

[78] ـــ ألف ليلة و ليلة 65/4.

في البركة إن ظهرت رجلاه تكون علامة على موته، وإن ظهرت يداه على وجه الماء ، يعلم أنه قد مات .وهذا عكس ما هو متعارف عليه في الذهنية الشعبية، إذ إن الهالك يظهر سبابته عند موته لا رجلاه.

الغريب أن من نجح في القبض على المردة أولاد الملك الأحمر وهما في هيئة سمكتين، كانت أرباعه مكتوفة وطلب من (جودر) أن يرمي عليه شبكته ليخرجه من الحيز المائي. وللإشارة فحيز (قارون) خيالي لا وجود له في المحيط الجغرافي المصري، وربطه السارد بأرض مصر ؛ بوصفها بلد السحر والسحرة منذ العهود القديمة وبأرض المغرب البلد المعروف في الذهنية الشعبية بقدرة سحرته على فتح الكنوز وبخاصة (طُلبة بني سنوس)[309]. و هذا يتطابق مع ما ورد في حكاية (الحمال وبنات الثلاث) فالسارد لفت ذهن الملتقي بطريقة فنية بارعة ، إلى مهارة الساحر المغربي وقدرته على ممارسة الطقوس.

يتضح من هذه الحكاية أن الساحر المغربي قد شجع جودر على الرحيل معه إلى المغرب بغية فتح الكنز بقوله : فهل ((تطاوعني وتروح معي إلى مدينة فاس ومكناس ونفتح الكنز و أعطيك ما تطلب)) [310].فكان هذا الحيز مجلبة لسعادة جودر و رخائه .

جعل السارد فاس ومكناس اسمين لمدينة واحدة وهذا لغرض سحري ؛ الهدف منه عدم تعيين مكان الكنز بدقة . و بعبارة أخرى فإن السارد يرفض تحديد المكان بحيث يجعله مجهولا ، لا يدري المتلقي هل هو في مدينة فاس أم في مدينة مكناس وما يثبت هذه الفكرة و يؤكدها قول السارد ((في اليوم الخامس من

---

[309] ـــ ينظر : كاملي بلحاج : أصول المعتقدات الشعبية ومظاهرها ص 187.

[310] - ألف ليلة و ليلة 66/1

المسير وصلا فاس ومكناس ودخلا المدينة))[311] . يؤخر السارد كلمة المدينة ويقدم فاس ومكناس ليوهم القارئ بحيزين مختلفين، لكن الحقيقة هو مكان واحد لا غير.

وعند الوصول إلى الحيز المقصود ظهرت المدينة مبهمة وغامضة عن السامع تماما ((قم بنا يا جودر فإن هذا اليوم الموعود لفتح الكنز فقام معه ومشيا إلى آخر المدينة وخرجا منها، فوصلا إلى نهر ماؤه جار))[312] . و تظهر المدينة المقصودة في آخر الحكاية ، فهي تقع على ضفة نهر كشأن المدن الكبرى في حكايات شهرزاد مثل مدينة بغداد الواقعة على نهر دجلة.

أبعد السارد الحيز المقصود في الحكاية لأنه يعني التخلص من عالم الفقر والولوج إلى عالم الثراء، وتلك هي مهمة السحرة فهم يتركون أمورهم السحرية في سرية وغموض تامين عن المتلقي. و قد قيل: ((إن السحر كي يكون مؤثرا يجب أن يمارس بطريقة سرية خاصة، وبفاعل يكون في حالة طقوسية خاصة))[313].ويظهر بذلك أن كل عمل سحري يتميز بأشياء تقال وأشياء تفعل وأشخاص تصنع هذه الأشياء في مكان معين.

وثقت الحكاية الصلة بين السحر والحيز المائي المتمثل في البحار والأنهار والبرك وما يلحقها من جزر وسفن ومراكب وشخصيات متنقلة، وما يتبع ذلك من أخطار ومعتقدات الشعبية. فقد كان ((البحر عند الأمم الوثنية و العبرانية يرمز إلى الحزن و إلى الشر و القوة الشيطانية))[314] في ألف ليلة وليلة ، على الرغم من أن الحيز المائي كان رمزا للخطر، فهو أداة للحركة والانتقال إلى حيز جديد، وأداة لفك الطلاسم السحرية ومعبرا للأرواح الشريرة من أجل الوصول إلى بر السلامة

---

311 – المصدر السابق 68/4

312 – المصدر السابق 69/1

313 ـــ سامية حسن الساعاتي: السحر والمجتمع ص 56.

314 – فليب سيرنج : الرموز في الفن-الأديان- الحياة ترجمة عبد الهادي عباس دمشق ط1 1992 ص 360

إلى الحزن و إلى الشر و القوة الشيطانية)) [314] في ألف ليلة وليلة ، على الرغم من أن الحيز المائي كان رمزا للخطر، فهو أداة للحركة والانتقال إلى حيز جديد، وأداة لفك الطلاسم السحرية ومعبرا للأرواح الشريرة من أجل الوصول إلى بر السلامة والنجاة وبلوغ السعادة المادية، وعموما فإن الحيز المائي يرمز إلى الخير والخصب والنماء وتجدد الحياة ((وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)) [315].

هكذا يبدو جليا الانعكاسات الإيجابية للطرح الفني في حكايات ألف ليلة وليلة في جانبها المتعلق بالسحر . هذا الطرح الفني الذي جعل من الشخصيات السردية تفترق وتفوق الشخوص المشاهدة في الواقع من حيث الاهتمامات والطموح والأفكار والمشاعر والعلاقات ، وتحيى حياة ممتلئة في النص السردي السحري ، وفي مخيلة المتلقي . كما جعل المكان اكثر إغراء مما هو عليه في الواقع ، وفي الوقت نفسه بؤرة تنتج الدهشة والغرابة . أما الزمن فقد استحال بعمل تأثير العرض الجمالي الى زمن خصب يسهم بقسط وافر في انفتاح النص السردي على مختلف الشخصيات الخيرة والشريرة والزمن بتنوع تجلياته وارتدادا ته.

---

[314] – فليب سيرنج : الرموز في الفن–الأديان– الحياة ترجمة عبد الهادي عباس دمشق ط1 1992 ص 360

[315] – سورة الأنبياء الآية رقم 30.

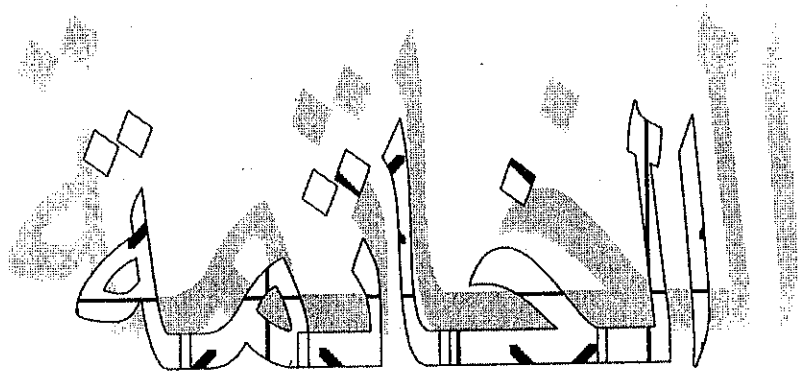
الخاتمة

الخاتمة:

إن النتائج التي خلص إليها هذا البحث يمكن إجمالها فيما يلي:

كشف البحث أن السحر كان منتشراً انتشارا واسعا في مجتمع شهرزاد، و لم يقتصر على شريحة دون أخرى، فقد كان يمارسه الأغنياء والفقراء الرجال والنساء.

تتخذ الطقوس السحرية في ألف ليلة وليلة مظهرين بارزين، مظهر يختص به النساء دون الرجال ويتمثل في ضرب الرمل ورش الماء وقراءة التعاويذ و التعازيم، و مظهر يختص به الرجال ويتمثل في التنجيم الذي يتطلب دراية تامة بطبيعة الكواكب وأبراجها، ومقتضيات أحكام النجوم وتأثيرها في العالم السفلي.

تحمل ألف ليلة وليلة دعوة صريحة إلى تعلم السحر وممارسته فقد تمارسه كل فئات المجتمع، إلى حد اعتباره من الفضائل الاجتماعية. التي يلقى ممارسيها الثناء والإعجاب، غير أن هذا التعظيم، نألفه متباينا من حكاية لأخرى، لتنوع ثقافة مجتمع شهرزاد.

أسهم السحر في ألف ليلة وليلة في حمل مخيلة الإنسان المقهور إلى آفاق رحبة بعيدة بعيدة عن ضغط المجتمع وسلطته، فاستطاع أن يتجاوز طبقته ليصبح ملكا وأميرا وتاجرا، و هذا بعد أن فتحت له أبواب الكنوز المدفونة في باطن الأرض و امتلاكه الأداة السحرية التي قلما حظيت بها المرأة، وكان ذلك إيذانا بتحقق العدالة الاجتماعية بين الغني والفقير والسيد والمسود.

يمثل الجن في ألف ليلة وليلة عالما موازيا لعالم الإنسان، فهي كائنات خفية قادرة على التشكل في أي صورة كانت، بل أنها تتزاوج وتتناسل لها ملوك ورؤساء وخدم، وتميز شهرزاد بين صنفين فمنها الخير ومنها الشرير.

يأتي ورود الجن مقرونا بالأعمال التي يستعصي على الإنسان القيام بهـــا، كان يكون دورها لتفعيل السحر أو إبطاله، إذ أن السحر في المعتقد الشعبي وسـيلة من وسائل الضبط الاجتماعي، يستعان به على إلحاق الأذى بالمسحور، وفي الوقت ذاته يعد من وسائل دفع الشرور، فالعمل السحري يبطله عمل سحري مضاد.

و أخيرا سوف تظل ألف ليلة و ليلة بحرا لا ينضب و كنزا لا يفنى و مجـالا خصبا للدراسة و البحث في مجال الفنون و المعتقدات الشعبية، و نرجـو مـن الله التوفيق في الرأي و السداد في حقل البحث العلمي.

مكتبة البحث

القرآن الكريم

ـــ المخطوطات الجامعية :

ـــ بلحاج كاملي : أصول المعتقدات الشعبية ومظاهرها في منطقـــة بلعبـــاس ـــ رســـالة ماجستير ـــ معهد الثقافة الشعبية ـــ جامعة تلمسان الجزائر مخطوط 1992

ـــ شريف بدوسي عبد القادر : الاغتراب في حكايات ألف ليلة و ليلـــة – مقاربـــة نفسية اجتماعية – مخطوط رسالة ماجستير – معهد الثقافة الشـــعبية – جامعـــة تلمسان – الجزائر ـــ مخطوط 1997.

المصادر والمراجع

– أ –

ـــ إبراهيم بدران ، ســـلوى الخمـــاش : دراســـات في العقليـــة العربيـــة، دار الحقيقة،بيروت،ط2،1979.

ـــ إبراهيم محمد الجمل: جذور الشر " الحسد. السحر. إبليس " مـــن منظـــور إسلامي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1985.

– أحمد أمين : قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية، القـــاهرة، مصـــر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1/1953.

- أحمد بن الحجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيـــح الإمـــام البخـــاري، إخراج وتصحيح محي الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت 1379 هـــ.

-أحمد كمال زكي : الأساطير دراسة حضارية مقارنة،دار العـــودة، بـــيروت، ط2،1979.

- إريك فروم: اللغة المنسية مدخل إلى هم الأحلام و الحكايات و الأساطير،تـــر: حسن قيسي - المركز الثقافي العربي - المغرب - 1995.

ـــ ابن الأثير : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم) : الكامل في التاريخ ـــ منشورات دار الكتب العلمية ـــ تحقيق أبي عبد الله الفاضل ط3 .بيروت 1983.

-ألف ليلة و ليلة: تقديم: أمزيان فرحاني -إشراف أحمد الحالي ـــ وحدة الرغاية - الجزائر - 1994.

-أنيس منصور : لعنة الفراعنة وشيء وراء العقل ـــ دار الشروق ـــ مصر 1978.

ب

ـــ بطرس البستاني : دائرة المعارف ، مطبعة المعارف بيروت (د. ت).

- ج -

- الجاحظ أبو عثمان : الحيوان - تح: عبد السلام هرون ،دار احياء العلـــوم، ط3 - بيروت - 1969.

- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي - مراجعة حسين مؤنس - دار الهـــلال مصر- 1985.

ح

ـــ أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان : تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ـــ تحقيق اسماعيل العربي ـــ دار الآفاق الجديدة المغرب ط 1– 1993.

-خ-

ـــ ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.

– خليل أحمد خليل : مضمون الأسطورة في الفكر العربي ـــ دار الطليعة للطباعة والنشر ـــ بيروت، ط 3، 1986.

– د –

-دائرة المعارف الإسلامية : تر: محمد ثابت الفندي – و عبد الرحمن يونس وآخرون ـــ دار (إنتشارات جهان تهران)، 1933.

ـــ س ـــ

ـــ سامية حسن الساعاتي : السحر و المجتمع دراسة نظرية و بحث ميداني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـــ بيروت – 1983.

ـــ س: كريمر : طقوس الجنس والمقدس عند السومايين تر : نهاد خياطة دار علاء الدين، دمشق، ط2، 1993.

-سعد الخادم : الفن الشعبي و المعتقدات السحرية – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – بدون تاريخ.

- سليمان الأشقر: عالم السحر و الشعوذة – دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن – ط3 1997.

// // :عالم الجن والشياطين – قصر الكتاب البليدة –الجزائر–دت.

- سليمان مظهر : قصة الديانات – دار الوطن العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ.

– سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة – الدار التونسية للنشر– 1985.

- سهير القلماوي : ألف ليلة و ليلة – دار المعارف – مصر – 1966.

- السيد جميلي : السحر و تحضير الأرواح بين البدع و الحقائق – دار الشهاب - باتنة - الجزائر - 1987.

- سيغموند فرويد : الطوطم و التابو - تر: بوعلي ياسين - دار الحوار - سوريا - 1983.

- ش -

- شهاب الدين أحمد بن محمد النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب – تصحيح أحمد الزين ـ نشر دار الكتب مصر –1943.

- ص -

ـــ صالح بن الحمادي : دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية ـــ دار بوسلامة ـــ تونس ـــ 1983.

- ابن أبي صبيعة موفق الدين أبي العباس: عيون الأنباء في طبقات الأطبـــــاء -دار الكتاب ـــ بيروت 1966.

ـ عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن و دلالته في الرواية العربية المعـــاصرة - الـــدر العربية للكتاب - طرابلس - 1988.

ـــ ط ـــ

- طلال حرب : بنية السيرة الشعبية و خطابها الملحمي في عصـــر المـــاليك - المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت ط1 1999.

- ع -

ـــ عبد الحميد بورايو : منطق السرد ـــ دراسات في القصة الجزائرية ـــ ديـــوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994.

- عبد الغني على الملاح: رحلة في ألف ليلة و ليلة — المؤسسة العربية للدراســات والنشر ـــ بيروت —ط 1 1981.

ـــ عبد الفتاح عثمان : بناء والرواية ـــ دراسة في الرواية المصرية ـــ مكتبة الناشـو المنيرة ـــ مصر 1982.

- علي كمال: باب النوم و باب الأحلام - دار الثقافة - بغداد - 1990.

ـــ عبد المحسن صالح : الإنسان الحائر ـــ بين العلم والخرافة ـــ المجلـــس الوطـــني للثقافة والفنون و الآداب عالم المعرفة ـــ الكويت ط2 1998.

ـــ عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية ـــ بحث في تقنية السرد – المجلس الوطـــني للثقافة والفنون والآداب ـــ عالم المعرفة ـــ الكويت ـــ ط1 1998.

// // : ألف ليلة و ليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكايـــة حمـــال بغداد – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1993.

// // : الميثولوجيا عند العرب دراسة لمجموعـــة مـــن الأســـاطير والمعتقدات العربية القديمة – الديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1989.

– ف –

– فاروق خورشيد : عالم الأدب الشعبي العجيب دار الشروق ـــ بيروت ط 1 1991.

– فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي: النبوات و ما يتعلق بهـا – تح: أحمد حجازي السقا ـــ مكتبة الكليات الأزهرية .

– أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني – تحقيق : مجموعة من الباحثين – ـــ نشر دار الكتب المصرية1929.

– فريدريتش فون ديرلاين : الحكاية الخرافية نشأتها مناهج دراستها فنيتها ـــ تـــر : نبيلة ابراهيم ـــ دار القلم بيروت ط1. 1973.

- فوزي العنتيل: بين الفلكلور و الثقافة الشعبية – الهيئة المصرية العامة للكتب ـــ مصر ـــ 1978.

- فيليب سيرنج : الرموز في الفن الأديان الحياة – تر: عبد الهادي عبـــاس – دار دمشق للطباعة والنشر ط1– 1992.

– ك –

– كاترين مومومسن : غوته وألف ليلة وليلة تر : أحمد الحمو ـــ مطـــابع الإدارة السياسية في الجيش ـــ دمشق ـــ 1980.

– ل –

– ليفي بريل : العقلية البدائية – تر: محمد القصاص – و مراجعة: حسن الســاعاتي – مصر .

– م –

– محمد عبد الرحمن يونس : الجنس و السلطة في ألف ليلة و ليلـــة – مؤسســة الانتشار العربي ـــ بيروت ـــ 1998.

ـــابن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب ، دار بيروت للطباعة والنشـــر ـــ بيروت 1968.

– محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العـــرب – تصحيـــح وضبط محمد بهجة الأثري ـــ دار الكتاب العربي - مصر .ـــ ط03. 1304 هـــ.

ـــ المسعودي : (أبي الحسن علي بن الحسين بن علي) : مروج الذهب ومعـــادن الجوهر ـــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتاب اللبناني 1966.

الدوريات

ـــ أ ـــ

ـــ أحمد علي آزاد : العمارة والمدينة في ألف ليلة وليلة ـــ مجلة الوحدة المجلس القوي للثقافة العربية ـــ الرابط ـــ ع 70-71 1990.

- ب -

- بوعلي ياسين: حكايات شهرزاد - الواقعية والغرائبية والوظيفة الاجتماعية ـــ مجلة دراسات عربية ـــ دار الطليعة للطباعة والنشر ـــ بيروت ـــ ع 5 ـــ 1981.

: صورة المرأة في حكاية شهرزاد - مجلة دراسات عربيـــة ـــ دار الطليعة للطباعة والنشر ـــ بيروت ـــ ع 7 ـــ 1982.

- ص -

- صلاح الدين شروح: نحن و الطوطمية - مجلة الفيصل - الرياض ـــ المملكـــة العربية السعوديةـــ ع17/1986.

- ع -

- عباس لخضر: ألف ليلة و ليلة في بلاد الفرنجة - مجلة العـــربي - الكويـــت ـــ ع:98.

- م -

- مجدي إبراهيم : الأفاعي حقائق و أساطير - مجلة الفيصل - الرياض ـــ المملكة العربية السعودية ـــ ع 383/2000.

المراجع الأجنبية

- André CLOT : Haroun Al Rachid et le temps des Mille et une nuits. Edition Marinoor.

- BASTIDE ® : Le sacré sauvage et autre essais. Payot . Paris 1975.

- BASTAIRE Fabuleux - Jean Paul Elbert : Dictionnaire Du Symbolisme Animal - Paris 1970.

- Erich From: Société Aliénée Et Société Saine. Du Capitalisme Ou Socialisme Humaniste. Psychanalyse De Société Contemporaine - Traduction: Janine Claude - Paris 1956.

- Felix Guirrand - Mythologie Général: Publie Sous La Direction De - Paris - 1935.

- JEMES Frazer: Le Rameau D Or - Ed : Robert Laffond - paris 1981.

- Maxauller Eguption: Mythologie - London 1924.

الفهرست العام

الفهرست العام

المقدمة ..... 10 - 04

المدخل..... 19 - 11

الفصل الأول

السحر و علاقته بعناصر الوجود:..... 66 - 20

1 – الإنس و الســـحر..... 34 - 22

2 – الجن و السحر .... 54 - 35

3- الحيوان و السحر ..... 66 - 54

الفصل الثاني

الوظائف السحرية:..... .... 119 - 67

1 – طقوس الحب و الزواج ..... 76 - 69

2 – زواج الجان بـــالإنس ..... 80 - 76

3 – زواج الإنس بالجنيات ..... 83 - 80

4 – استكناه الغيـــب ..... 96 - 83
5 – الوظيفة العلاجيـة ..... 105 - 96
6 – البحث عن الكنوز..... 119 - 105

الفصل الثالث

البنية الفنية:..... 165 - 120
1 – الشخصية ..... 135 - 122
2 – الزمـــن .... 147 - 136
3 – المكان ..... 165 - 147
الخاتمـــة..... 165 - 163
مكتبـــة البحـــث..... 177 - 166
الفهرست العام..... 180 - 178